مقرر

علم نفس النمو

الفرقة الأولي تعليم عام

أستاذ المقرر

أ.م.د/ نورا تاج الدين جعفر

أستاذ الصحة النفسية المساعد بكلية التربية بقنا

العام الجامعي
٢٠٢٤ / ٢٠٢٥م

بيـانـات أساسية

الكلية: التربية

الفرقة: الأولي

التخصص: تعليم عام

عدد الصفحات: ١٨٦

القسم التابع له المقرر : قسم الصحة النفسية

الرموز المستخدمة

فيديو للمشاهدة.

نص للقراءة والدراسة.

رابط خارجي.

أسئلة للتفكير والتقييم الذاتي.

أنشطة ومهام.

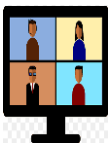 تواصل عبر مؤتمر الفيديو.

محتوي الكتاب

محتوي الكتاب الالكتروني	الصفحة
أولا : الموضوعات : ----------	٣
ثانيا : الجداول : ----------	٣

أولا : الموضوعات	الصفحة
الفصل الاول	
طبيعة علم نفس النمو	**٥**
الفصل الثاني	
مرحلة المهد	**٣٦**
الفصل الثالث	
مرحلة الطفولة المبكرة (٣-٥ سنوات)	**٤٩**
الفصل الرابع	
مرحلة الطفولة الوسطي والمتأخرة	**٦٨**
الفصل السادس	
مرحلة المراهقة	**١٠١**
ثانيا : الجداول	
جدول١ / فئات نسب الذكاء	**٩٢**

الفصل الأول
طبيعة عملية النمو

الفصل الأول
طبيعة عملية النمو

موضوع علم نفس النمو :

علم نفس النمو أحد فروع علم النفس الذى يجمع بين الجانب النظرى والتطبيقى ، ويشترك معه فى دراسة السلوك البشرى كموضوع رئيسى ، لكنه يختص بدراسة ظاهرة النمو النفسى للإنسان منذ بداية تكوينه فى رحم الأم حتى بلوغه الرشد ، ويقصد بظاهرة النمو النفسى تلك الأحداث والوقائع التى تسير فى تسلسل متتابع وفق تخطيط وراثى مسبق (حتمى) يحكم حركة تطور وارتقاء أنماط سلوك كافة أفراد الجنس البشرى وصولاً إلى النضج ، كما يدرس جميع العوامل المؤثرة فى هذه الظاهرة ، سواء ما يتعلق بالجوانب الداخلية ، خصوصاً الوراثية البيولوجية الفسيولوجية ، العصبية والجسمية ، وبالجوانب الخارجية مثل الغذاء ، الرعاية بكافة أنواعها ، التنشئة الاجتماعية وعلاقة الوالدين بالطفل ، التربية ، وبعض المؤسسات الاجتماعية والثقافية ، وهكذا يمتد مجال هذا العلم ليغطى معظم فروع علم النفس ، ويتخطى ذلك إلى بعض العلوم الاجتماعية مثل الأنثروبولوجى والاجتماع والطب العقلى والاقتصاد .

وهو مثل سائر فروع علم النفس يعتمد على ملاحظة الظاهرة السلوكية (النمو) ورصد وتسجيل التغيرات الخارجية التى تظهر على الفرد عبر سنوات عمره بوسائل الملاحظة المتاحة وتحليل واستنتاج العمليات والآليات التى تؤدى به للانتقال من مرحلة نمو إلى أخرى وصولاً إلى النضج ، ويعنى ذلك أن النمو النفسى مفهوم افتراضى

Hypothetical Concept يستدل عليه عن طريق نتائجه وآثاره على سلوك الفرد خلال سنوات عمره .

وهكذا يكون لعلم نفس النمو موضوعه الخاص به والذى لا ينازعه فى اختصاصه أى فرع آخر من فروع علم النفس ، ولا أى علم من العلوم السلوكية أو غيرها . صحيح أن علم نفس النمو يستعير ويوظف الكثير من معلومات ومفاهيم ومبادئ فروع علم النفس الأخرى وبعض العلوم السلوكية والبيولوجية على نحو ما أوضحنا ، إلا أن هذه العلوم – بدورها – تستعير منه بعض ما توصل إليه من معلومات ونتائج ، وهذا هو حال التفاعل فى الكثير من العلوم المتقاربة وصولاً ‘لى وحدة المعرفة وتكاملها . ومع ذلك يظل لعلم نفس النمو موضوعه الخاص به الذى لا يقوى على بحثه سائر العلوم الأخرى . ليس فقط لأن مظاهر النمو النفسى متمايزة عن المظاهر السلوكية (النفسية الأخرى) أنما تتطلب دراسة هذه المظاهر منهجاً وأسلوباً لبحث يتفق وطبيعة هذه المظاهر النمائية ، بعبارة أخرى ، يوجد لعلم نفس النمو منهجه الخاص به والذى يتميز بدوره عن المناهج التى تستخدمها الفروع الأخرى لعلم النفس ، وهو ما سوف نناقشه تفصيلاً فى الفصل الخاص بذلك ، وبذلك يكون لهذا العلم موضوعه الخاص به ومنهجه المتميز وهما الشرطان الضروريان لقيام أى علم .

أهداف علم نفس النمو :

توجد أهداف عامة لكل علم من العلوم تتلخص فى الفهم والتفسير والتنبؤ والضبط ، ويقصد بالفهم *Understanding*

تقديم الوصف والتوضيح المناسبين لشرح الظاهرة – موضوعه دراسة العلم – على نحو متسق ودقيق ومتكامل . وتختلف مستويات الفهم فى أى علم وفقاً لحداثته وطبيعة الظاهرة التى يتناولها . لقد قطع علم البيولوجى – مثلاً – شوطاً كبيراً فى فهم الظاهرة البيولوجية مقارنة بما قطعه علم نفس النمو ، ليس فقط لأن علم البيولوجى من أقدم العلوم الوضعية على حين أن علم نفس النمو النفسى أكثر تعقيداً وتداخلاً وتأثراً بالعوامل الأخرى من الظاهرة البيولوجية الخالصة ، ومع ذلك فالمتتبع لتاريخ هذا العلم نجده قد تقدم فى فهمه لظاهرة النمو النفسى منذ منتصف هذا القرن حتى الآن على نحو يفوق كثيراً ما قدمته بعض العلوم المشابهة خلال تلك الفترة .

كما يقصد بالتفسير ***Interpretation*** حشد الأدلة والشواهد المستقاة عن الواقع ومن نتائج البحوث المختلفة لتعميق فهمنا للظاهرة بحيث تتقدم بها إلى ما بعد الوصف ، أى التعرف على مدى تأثير العوامل المختلفة ، الداخلية منها والخارجية على الظاهرة موضوع العلم ، مثلاً ما هو تأثير العوامل الوراثية البيولوجية على النمو النفسى ؟ وما هو تأثير العوامل البيولوجية غير الوراثية مثل التغذية والأمراض التى تصيب الأم أثناء الحمل على النمو النفسى ؟ وما هو تأثير التنشئة الاجتماعية وعلاقة الطفل بوالديه على نموه النفسى ؟ وهكذا ، وما ينطبق على الفهم ينطبق أيضاً على التفسير من ناحية حداثة العلم وصعوبة موضوعة .

ويقصد بالتنبؤ *Prediction* إمكانية توقع أحداث معينة فى الظاهرة موضوع الدراسة لم تظهر بعد تحت شروط محددة ، ويحكم على مدى تقدم أى علم بما يقدمه منح تنبؤات أو توقعات جديدة لم تظهر بعد وبدرجة احتمال أكثر ترجيحاً تحت الشروط المقترحة لظهور الحدث أو الأحداث المرتقبة ، وهناك أمثلة كثيرة على دقة توقعات علم الفيزياء بخصوص الطاقة المحتملة من تفتيت الذرة أو اندماجها (مجهودات أنشتاين وأوبنهيمر فى هذا المجال) . قد ينطبق ذلك بشكل متواضع على علم نفس النمو عندما يتنبأ باضطرابات النمو النفسى فى حالة افتقاد الطفل لرعاية الوالدين ، أو فى اختلال النمو فى مرحلة ما عندما لا تشبع بعض مطالب النمو فى المرحلة السابقة لها ، وهكذا . وربما يشفع لعلم نفس النمو عمومية تنبواءته وصعوبة تقدير احتمالات حدوثها على وجه الدقة أنه علم ناشئ ، عليه أن يقدم الكثير فى مجال فهم الظاهرة النمائية وتفسيرها ، إذ من المعلوم أن الفهم الدقيق والجيد يؤدى إلى تفسير دقيق وجيد للظاهرة موضوع الدراسة ، كما أن التفسير الدقيق والجيد يمهد لتنبؤ أكثر عمقاً وشمولاً أن التنبؤ العلمى لا ينبع من الفراغ .

وهكذا الحال بالنسبة للضبط *Control* الذى يقصد به إمكانية التحكم (النسبى) فى الظاهرة موضوع القياس ، وربما يكون هذا الهدف هو أكثر ما يمس الإنسان مباشرة ويؤثر على مستوى رفاهيته وتقدمه ، فعن طريق الضبط يستطيع الإنسان أن يسيطر نسبياً على الطبيعة ويوظفها لصالحه ، بما فى ذلك السلوك البشرى والنمو النفسى ، أن الهدف الذى يسعى إليه علم نفس النمو هو السيطرة

النسبية على ظاهرة النمو النفسى والتحكم فى العوامل التى تؤثر فيها بحيث تستقطب وتستبعد مقدماً أى اضطرابات ومشكلات نفسية محتملة أثناء النمو ، وقد يسأل سائل وما الذى يمنع المجتمع أن يفعل ذلك عن طريق مؤسساته المختلفة مثل الأسرة والمدرسة والنادى والإذاعة والتليفزيون .. لتربية جيل من الأطفال والشباب الأصحاء نفسياً ؟ والإجابة تكمن فى الوعى بأهمية العلم فى حياة المجتمع ، الوعى بأن العلم نشاط اجتماعى لأغنى للمجتمع عنه ، مثل النشاط الاقتصادى والسياسى وغير من الأنشطة ، الوعى بأن رفاهية المجتمع وتقدمه مرهون بالعلم . وعندما نبحث فى أهم العوامل التى أدت إلى تقدم مجتمع ما وتنبوئه على المجتمع الأخرى نجد الاهتمام بالعلم وتطبيقاته واستخداماته الاجتماعية (الضبط) على رأس هذه العوامل .

ويلفت النظر أن هذه الأهداف العامة التى يسعى إليها أى علم : الفهم ، التفسير ، التنبؤ ، والضبط هى نفسها أهداف النظرية العلمية ***Theory*** . فالنظرية العلمية هى التى تقدم رؤية متكاملة للظاهرة موضوع العلم تقود إلى تنبؤ دقيق وسيطرة محكمة ، وإذا أضفنا إلى ذلك أنه لا يوجد فى العلم – أى علم – نظرية مطلقة ، فكل النظريات العلمية نسبية فى دقة ما تتنبأ به ، فنظريات اليوم ليست بالضرورة نظريات الأمس ، وربما لا تكون غداً ، لأن تطور العلم يؤدى إلى استنباط نظريات أحدث وأكثر قدرة على التنبؤ .

ومهما يكن من أمر ، يمكن تلخيص أهم الأهداف الخاصة التى يسعى إليها علم نفس النمو فيما يلى :

١- توضيح ووصف وقياس التغيرات المتتابعة فى أنماط سلوك الطفل منذ ميلاده وحتى بداية رشده التى يفترض أنها تعكس ديناميات علمية النمو ، وينصب التركيز على تلك التغيرات التى تحدث لجميع الأطفال فى كل الثقافات .

٢- توضيح الفروق الفردية فى السلوك خلال دورات النمو المتعاقبة ، والعوامل المسئولة عن ذلك .

٣- توضيح أسباب انحراف السلوك فى معايير النمو النفسى ، مثل الضعف العقلى والاضطرابات النفسية ، انحراف الأحداث ، وما إلى ذلك من الانحرافات السلوكية التى يمكن أن تصيب الطفل والمراهق أثناء نموه .

٤- أثر العوامل الاجتماعية على النمو ، واثر الثقافات الفرعية داخل المجتمع الواحد على تشكيل الأنماط السلوكية لنموه .

٥- توظيف نتائج دراسات التنشئة الاجتماعية فى تفسير عملية تشكيل السلوك النفسى والاجتماعى للطفل والمراهق .

٦- توظيف ما يصلح من نظريات علم النفس بصفة عامة والشخصية على وجعه الخصوص فى تفسير النمو النفسى .

٧- التوصل إلى نظريات خاصة بالنمو النفسى نابعة من هذا العلم لها صفة الشمول والعمومية بحيث تصف وتفسر ظاهرة النمو النفسى بشكل متكامل وتقدم تنبؤات تساعد على التحكم النسبى فى هذه الظاهرة والعوامل المؤثرة فيها .

مفاهيم علم نفس النمو :

لكل علم مفاهيمه الأساسية التى توضح طبيعة مجال وموضوع دراسته بصفة عامة والمتغيرات الهامة ، التى يتناولها بالدراسة على وجه الخصوص ، كما تتناول هذه المفاهيم أهم العوامل التى لها تأثير مباشرة على الظاهرة ومحدداتها الداخلية والخارجية والآليات التى تحكم وتنظم حركتها وتكمن أهمية المفهوم *Concept* فى أنه مصطلح علمى على قدر كبير من التجريد ، فبدلاً من وصف تفاصيل الظاهرة عن طريق سرد الوقائع والأحداث والشواهد الحسية المختلفة بعبارات لفظية عامة يمكن اختصار أو تجريد هذا الوصف فى مصطلح واحد له معنى ومضمون بالغ التحديد والدقة فى ذهن المشتغل أو الدارس لهذا العلم أو ذاك ، وعليه فإن هذه المفاهيم لا تختص فقط العرض والمناقشة ، إنما توحد وتحدد فهمنا لتفاصيل الظاهرة (متغيراتها) التى يتناولها العلم والدراسة ، وهذا ما يعرف بلغة العلم .

وفيما يلى عرض لأهم مفاهيم علم نفس النمو :

- النمـــو *Development* :

النمو عملية مستمرة مدى حياة الفرد ، تتضمن تسلسل التغيرات الجسمية والفسيولوجية والعصبية والحسية والحركية والانفعالية والمعرفية والاجتماعية على نحو تتابعى وبنمط متجانس ، إذ يعتمد على تغير على ما سبقه من متغيرات ويؤثر فيما يليه ، ويرتبط بالنمو ومصطلح الزيادة أو الكبر *Growth* الذى يعنى الزيادة فى الحجم منذ لحظة تكوين المضغة حتى البلوغ ، ذلك بصرف النظر عما يترتب عن ذلك من تغيرات فى بعض وظائف الجسم أو السلوك ، وبالتالى ينظر إلى مصطلح النمو على انه أكثر شمولاً وتجريداً من مصطلح الزيادة .

وللنمو مظهران رئيسيان نلخصهما فيما يلى :

أولاً : النمو التكوينى :

ونعنى به تنمو الفرد فى الجسم والشكل والوزن والتكوين نتيجة لنمو طوله وعرضه وارتفاعه ، فالفرد ينمو ككل فى مظهره الخارجى العام ، وينمو داخلياً تبعاً لنمو أعضائه المختلفة .

ثانياً : النمو الوظيفى :

ونعنى به نمو الوظائف الجسمية والعقلية والانفعالية الاجتماعية لتساير تطور حياة الفرد واتساع نطاق بيئته ، وبذلك يشتمل النمو بمظهرية الرئيسين على تغيرات كيميائية فسيولوجية وطبيعية ونفسية واجتماعية ، ويلاحظ أن النمو يتضمن نواحى عديدة فهناك نمو يتصل بالناحية البدنية أو الجسمية وهناك نمو يتصل بالنواحى العقلية المعرفية ، وهناك نمو يتصل بالنواحى الانفعالية بالإضافة إلى ذلك النمو الذى يتصل بالدوافع والحواجز والاتجاهات والميول ، يلاحظ كذلك أن نواحى النمو المختلفة (الجسمية والعقلية والانفعالية والاجتماعية) تعمل فى وحدة وانسجام وأن الاضطراب أو النقص أو الشذوذ فى أى ناحية من نواحى النمو يؤدى بدوره إلى اضطراب فى التكوين العام للشخصية .

فالنمو الجسمى والانفعالى مثلاً يتأثران إلى حد كبير بالنمو الجسمى ، وأستطيع إيضاح ذلك بالمثال الآتى : طفل كان يشكو تأخراً فى نموه الجسمى نتيجة تعرضه لمرض فى طفولته المبكرة تسبب عن ذلك شعوره بالنقص مما أدى إلى اضطراب فى حياة الطفل الاجتماعية داخل المدرسة وخارجها مما أدى إلى الفرار من المدرسة

والهروب إلى الاضطراب الانفعالى وأثر ذلك على عملية تحصيله للدروس مما أثر كذلك على نموه العقلى كل ذلك أثر فى تكامل شخصيته .

- نواحى التغير التى تطرأ على النمو :

النمو ضرب (نوع) من التغير يطرأ على نشاط أو وظيفة أو قدرة فتنتقل من مرحلة دنيا إلى مرحلة أرقى وهذا التغير يشمل عدة نواحى هى :

١- التغير فى الحجم .

٢- التغير فى النسب .

٣- اختفاء خصائص قديمة .

٤- ظهور خصائص جيدة .

أولاً : التغير فى الحجم :

يتضح هذا الضرب على وجه الخصوص فى النمو الجسمى فيزداد طول الطفل عام بعد عام فضلاً عن وزنه وعرضه أى يزيد فى الحجم ككل ، ما يطرأ نفس الضرب من التغير على أعضاء الجسم وتراكيبه الداخلية والقلب والرئتان والأمعاء والمعدة تكبر كى تواجه حاجات الجسم المتزايدة ، وهذا التغير فى حجم الجسم وأعضائه يقابله تغير مماثل فى الناحية العقلية فلغة الطفل تزداد عام بعد آخر وبالتالى يزداد محصوله اللغوى عام بعد آخر .

وكذلك النمو الاجتماعى ، يزداد بازدياد العمر إذ تتسع كلما كبر محيط التفاعل الاجتماعى الذى يتعامل معه فبد أن كان حجم

التفاعل لا يتجاوز الأم يكبر فيمتد إلى الأب ، ثم الأخوات ، ثم يمتد إلى الأسرة والعائلة كلها ، ثم يلعب مع الأطفال أقرانه من الجيران ثم المدرسة فالحى وبذلك تتسع دائرة علاقته الاجتماعية بازدياد العمر .

ثانياً : التغير فى النسب :

وكذلك يطرأ تغير على نسب أعضاء لجسم بالنسبة للجسم ، ولذلك يختلف تناسب أعضاء جسم الطفل عن تناسب أعضاء جسم الراشد ، ومن الخطأ أن تظن أن الطفل رجل مصغر كما كان الناس قديماً يعتقدون ، فإذا كبر جسم الطفل حتى ساوى جسم البالغ ظهرت هذه الفروق واختلف تناسب أعضاء الجسم .

ويبلغ طول رأس الجنين حوالى نصف طول جسمه فى الشهر الثانى من بدء الحمل ، ثم تتناقص هذه النسبة عند الميلاد حتى تصل إلى ربع طول جسم الوليد ، ثم تناقص تدريجيا بعد ذلك حتى تصل إلى ثمن طول جسم الفرد عند الرشد واكتمال النضج .

ويقترب تناسب أعضاء الطفل من أعضاء الراشد فى طور المراهقة حينماً يصل عمر الفرد حوالى ١٣ سنة .

وتتضح التغيرات كذلك فى النمو العقلى فإذا درسنا مثلاً وظيفة التخيل عند الطفل والراشد نجد أن تخيل الطفل من نوع الإيهامى فإذا بلغ مرحلة الرشد يصير تخيله إبداعياً ، كما أن نسبة التخيل تختلف من مرحلة لأخرى ، كما أن نسبة المحصول اللغوى تزيد بازدياد العمر الزمنى .

ثالثاً : اختفاء خصائص قديمة :

تتضمن عملية النمو الاختفاء خصائص كانت من قبل فالغدة التيموسية والغدة الصنوبرية تتعرضان للضمور قبل مرحلة البلوغ ، كما تتبدل أسنا الطفل اللبنية ، وهكذا نجد أنه تستأصل من الخصائص الجسمية ما استنفذ فائدته .

ومن بين الخصائص القديمة التى تختفى أشكال الكلام الطفولى والسلوك الاندفاعى الطفولى الذى يتم دون تفكير ، ومختلف ضروب التنقل الطفولى كالزحف والحبو ، ودقة بعض الحواس كالذوق والشم .

رابعاً : ظهور خصائص جديدة :

فضلاً عن اختفاء خصائص قديمة كانت موجودة يحدث تغير يكسب صفات جسمية وعقلية جديدة ومن هذه الخصائص الجديدة ما يكتسب بالتعلم ومنها ما يظهر نتيجة النضج أى نتيجة التفتح الطبيعى لصفات تكون عند الميلاد كامنة أو غير مكتملة لتنمو مثل ظهور الأسنان الدائمة التى تحل محل الأسنان اللبنية ، ونمو المظاهر الثانوية للبلوغ وكذلك المظاهر الأولية نتيجة لنشاط الغدد التناسلية فى مرحلة المراهقة فتظهر على المراهق خصائص لم تكن موجودة من قبل .

وفى الناحية العقلية تظهر خصائص جديدة مثلا المعايير الخلقية والاتجاهات والمعتقدات الدينية ومختلف أشكال اللغة ، كما تبدأ القدرات الخاصة فى الظهور .

- مظاهر النمو ***Aspects of Development*** :

يتبدى النمو النفسى من خلال مظاهر شتى تعكس طبيعته وأهدافه ، صحيح أن النمو النفسى وحدة متكاملة لا تتجزأ وعملية داخلية بالغة التعقيد والتداخل ، إلا أننا لا نستطيع الاستدلال عليها مباشرة ، إنما عن طريق مظاهرها الخارجية المختلفة القابلة للملاحظة أو القياس ، ويمكن تحديد هذه المظاهر فيما يلى :

١- مظاهر النمو الجسمى : *Physical*

مثل نمو الهيكل العظمى والطول والوزن ، تغير الخصائص التشريحية لأنسجة وعضلات الجسم ، تغير مورفولوجية الجسم أو النسب بين أعضائه وما إلى ذلك .

٢- مظاهر النمو الفسيولوجى : *Physiological*

مثل التغير فى وظائف أعضاء الجسم خصوصاً الغدد ، عملية التمليين ، تطور وظائف المخ ، زيادة ضغط الدم وقوة القلب وعدد ضرباته ، اتساع المعدة وزيادة كفاءة عملية الأيض والتحكم فى عضلات المثانة والمستقيم ، التناقص التدريجى فى عدد ساعات النوم وما إلى ذلك .

٣- مظاهر النمو الحاسى : *Sense*

مثل التغيرات التى تعترى الأجهزة الحسية والاحساسات الحشوية العامة والخاصة ، تحسن العتبات الفارقة ، وزيادة حساسية وكفاءة بعض الحواس بالنسبة للمثيرات المختلفة والتآزر والتكامل بين الحواس الخمس .

٤- مظاهر النمو الحركى : *Motor*

مثل اكتساب مهارات المشى والجرى والقفز ، الكتابة والرسم ، سرعة الإدراك وتطور عمليات التآزر الحركى ، نمو المهارات النفسية – حركية ، الاستعدادات الجسمية الخاصة .

٥- مظاهر النمو اللغوى : *Linguistic*

مثل تطور الأصوات وتتابع النطق بالكلمات ، السيطرة على عملية الكلام ، نمو المحصلة اللغوية ، الاستخدام الوظيفى للكلام وتكوين الجمل ، القدرة على التواصل اللغوى .

٦- مظاهر النمو العقلى والمعرفى : *Mental & Cognitive*

يعكس النمو اللغوى مدى التطور فى النمو العقلى والمعرفى ويتزامن معها ، ويقصد بالنمو العقلى والمعرفى تطور الذكاء والتفكير والعمليات العقلية الأخرى ، تمايز القدرات العقلية ، زيادة القدرة على التعلم وكفاءة توظيف نتائجها ، نمو التحصيل والمعلومات والمعارف والخبرات .

٧- مظاهر النمو الانفعالى : *Emotional*

مثل تطور الانفعالات والمزاج والخلق وتمايز مكوناتها وتوالى ظهور الانفعالات الجديدة ، تطور الوظيفة الاجتماعية للانفعال أو التعبير الانفعالى والتحكم فيها ، تكامل الانفعالات وتناسبها مع المواقف ، وهكذا بالنسبة للمزاج والخلق خصوصاً تطور مفهوم الضمير ، اكتساب المعايير الأخلاقية ، وتطور الشعور الدينى .

٨- مظاهر النمو الاجتماعية : *Social*

مثل تطور السلوك الاجتماعى للطفل كالاستقلال والعدوان والمشاركة والتواصل ، تطور اللعب الجمعى ، علاقات الطفل بوالديه وأساليب التنشئة الاجتماعية ، علاقته بأترابه ورفاقه ، دور جماعات اللعب والرفاق ، ظهور الصداقة ، وغير ذلك من المؤثرات الاجتماعية التى تؤهل الطفل والمراهق ليؤدى دوره الاجتماعى المرتقب على وجه مناسب .

٩- مظاهر النمو الجنسى : *Sexual*

مثل تطور خصائصه الجنسية وتعبيراته وسلوكه الجنسى ، تعلم التعبير عن الموضوعات المتعلقة بالفروق بين الجنسين ، ظهور الخصائص الجنسية الثانوية والأساسية ، الفروق بين الجنسين والتربية الأسرية .

العوامل المؤثرة فى النمو

يتأثر النمو ببعض العوامل التى تتفاعل مع بعضها البعض وتتآذر لبناء حياة الفرد ومن أهم هذه العوامل ما يأتى :

١- الوراثة .

٢- البيئة .

٣- الهرومونات .

٤- التغذية .

٥- النضج والتعليم .

٦- العوامل الثانوية .

وسنحاول فى دراساتنا لهذه العوامل أن نستطرد قليلاً فى تحليلها لنبين أثرها فى النمو ولنؤكد تفاعلها الدائم ببعضها وتداخلها بألوانها المختلفة وتأزرها الدائم لبناء حياة الفرد فى حاضره الراهن وماضيه السلف ومستقبله العاجل وغايته التى يهدف إليها ويسير قدماً نحوها .

أولاً : الـوراثــة :

المقصود بالوراثة انتقال الصفات الوراثية من الآباء إلى الأبناء عن طريق الجينات المحمولة على الكرموزمات.

وتبدأ حياة الجنين باتحاد الخلية الذكرية بالخلية الأنثوية وذلك عندما يخترق الحيوان المنوى الغلاف الخارجى للبويضة الأنثوية ويظل يمعن فى سيره حتى تلتصق نواته بنواة البويضة .

وهكذا تنشأ البيضة المخصبة أو اللاقحة أو البذرة منها تبدأ حياة الجنين أى أنها تبدأ باتحاد الأمشاج الذكرية الأنثوية وقد أشار القرآن إلى ذلك فقال الله تعالى :

﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الإنسان مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً ﴾
(سورة الإنسان – ٢) صدق الله العظيم

والمشـيج *Gamite* وجمعهـا أمشـاج ، ويطلـق هـذا الاصـطلاح العلمـى علـى الحيـوان المنـوى الـذكرى *Sperm* وعلـى البيضـة الأنثويـة *Ovum* .

ـ هدف الوراثة :

١ – تعمل الوراثة على المحافظة على الصفات العامة للنوع وذلك بنقل هذه الصفات من جيل لى جيل ، فالإنسان لا يلد إلا أنساناً والفأر لا يلد إلا فأراً .

٢- تعمل الوراثة على المحافظة على الصفات العامة لكل سلالة من سلالات النوع ، وبذلك يختلف سكان القطب الشمالى عن سكان خط الاستواء فى الشكل واللون وغيرها من الصفات .

٣- تعمل الوراثة على التقارب بين الوالدين والأبناء فى الصفات الوراثية ولذا يقولون " الولد سر أبيه " ، و " من شابه أباه فما ظلم " ، وهذا وتؤكد الأبحاث العلمية أن الطفل يرث نصف صفاته من والديه ، وأن بعض صفات الأب قد تتغلب على صفات الأم وأن بعض صفات الأم قد تتغلب على صفات الأب .

وأياً كان أثر الأب أو الأم فى صفات الطفل فإن المجموع النهائى لأثرهما معاً يساوى نصف الصفات التى يرثها الطفل عامة ويرث الطفل ربع صفاته الوراثية من أجداده المباشرين . لذا يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم " تخيروا لنطفكم فأن العرق دساس "

صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثانياً : البيئة :

تؤثر البيئة فى نمو الفرد عامة ، وفى النمو العقلى والوجدانى والاجتماعى خاصة ، وتؤثر البيئة الأسرية تأثيراً خاص فى حياة الفرد وتوجيه نموه عن طريق توفير مناخ النمو المناسب وعن طريق إشباع أو عدم إشباع حاجاته النفسية من عطف وحنان وتؤثر فى النمو العقلى عن طريق إكساب الفرد اللغة وما تنتجه من نمو لذكائه ونمو قدراته العقلية وتؤثر فى نموه الاجتماعى حيث تخلق لديه الميول الاجتماعية .

وتبدأ البيئة فى التأثير على نمو الفرد منذ لحظة تكون الوليد داخل رحم الأم غير أن معظم الأطفال يتعرضون داخل الرحم إلى عوامل بيئية تكاد تكون ثابتة بينهم ، مثل درجة الحرارة والضغط والتغذية وغير ذلك من عوامل فيزلوجية كيميائية ، هذا إن لم يتعرض الجنين إلى إصابة بالبكتريا أو تسمم ، أو إشعاعات مما قد يؤدى إلى تشوهات ولادية .

ولاشك أن العوامل البيئية التى تؤثر على الإنسان قبل ولادته أقل أهمية وعدداً من العوامل التى يتعرض لها بعد ولادته ، ولكى نستطيع أن نحدد أثر الأسرة فى نمو الطفل يحسن أن نحلل العلاقات الموجودة داخل الأسرة والتى تؤثر على نمو الطفل .

أ – العلاقة بين الوالدين وأثرها على نمو الطفل :

ينعكس أثر العلاقات بين الوالدين على شخصية الطفل ونموه فكلما كانت العلاقة بين الوالدين منسجمة أدى ذلك إلى جو يساعد على نمو الطفل بينما الخلافات والتشاحن بين الوالدين وخاصة عندما يشعر بها الطفل تعتبر من العوامل المؤدية إلى عرقلة النمو .

إذ أنه لاشك فى أن الجو الأسرى الذى تشيع فيه الخلافات والمشاحنات مختلف عن جود يشيع فيه الحب والعطف والاتفاق من حيث توفيره للنمو السليم للأطفال .

ب – العلاقة بين الوالدين والطفل (اتجاهات الوالدين نحو الطفل) :

إن نوع العلاقة التى تنشأ بين الوالدين والطفل وطريقة معاملة الوالدين لطفلهما عامل هام يدخل فى تشكيل شخصية الطفل وتوجيه نموه فإذا ما نشأ الطفل فى جو أشبع بالحب والثقة تحول إلى شخص

يستطيع أن يحب غيره ويثق فى غيره وبذلك يساعده ذلك على النمو السليم ، أما الطفل الذى نشأ فى جو يزخر بالحرمان من الحب ويشعر بقسوة والديه عليه سينمو فرد أنانى وعدوانى لا يعرف الحب وذلك يعمل على النمو الغير السليم .

ج- علاقة الطفل بأخوته :

يتأثر نمو الطفل بترتيبه الميلادى فى الأسرة وبذلك تختلف سرعة نمو الطفل الأول عن سرعة نمو أخوته الآخرين وذلك لأن الطفل الثانى يقلد أخاه الأكبر ، ويقلد الطفل الثالث الطفل الثانى والطفل الأول ، وهكذا يسرع هذا التقليد بنمو الثانى والثالث .

والتقليد فى الطفولة داعمة قوية من دعامات التعلم وكسب المهارات المختلفة ، فالنمو اللغوى مثلاً يعتمد فى جوهره على تقليد الأطفال الصغار لوالديهم ولأخوتهم الكبار فى أصواتهم وحركاتهم المعبرة.

والطفل الأخير الذى يولد بعد أن يكبر أخوته جميعاً يدلل من والديه ومن أخوته ، فيتأخر نضجه وتطول مدة طفولته وتبطؤ سرعة نموه فى بعض نواحيها .

والطفل الوحيد يتصل بوالديه اتصالاً مباشراً فتؤثر هذه الصلة فى إدراكه وتفكيره وعملياته العقلية ، لكن نفس هذه الصلة الوثيقة تؤثر من زاوية أخرى تأثيراً سلبياً ضاراً فى النمو الحركى اليدوى للطفل لأن والديه يساعدانه دائماً فى تلك الأمور ، بل كثيراً ما يوفران عليه هذا الجهد ، فلا يجد نموه الحركى حافزاً نحو مستويات نضجه .

ثالثاً : الهرمونات :

الهرمونات هى إفرازات الغدد الصماء ، والغدد أعضاء داخلية فى الجسم هذا وتتكون الأعضاء من أنسجة ، وتتكون الأنسجة بدورها من خلايا هى الوحدات الأولى للجسم الحى ومن أمثلتها الخلايا العصبية والخلايا العضلية ، والخلايا العظمية .

وتتلخص وظيفة الغدد فى تكوين مركبات كيميائية خاصة ، يحتاج إليها الجسم بأعضائها الأخرى المختلفة ، فهى بهذا المعنى تشبه المعامل الكيميائية .

وتنقسم الغدد إلى نوعين رئيسين :

١- غدد قنوية .

٢- غدد لا قنوية (صماء).

فأما القنوية فهى التى تجمع موادها الأولية من الدم حين مروره بها ، وتخلط هذه المواد ثم تفرزها خلال قنواتها ، كما تفعل الغدد الدمعية ، إذ تجمع من الدم الماء وبعض الأملاح المعدنية ثم تخلطها لتتكون من ذلك كله الدموع .

وأما الغدد الصماء فهى التى تجمع موادها الأولية من الدم مباشرة ثم تحولها إلى مواد كيمائية معقدة التركيب تسمى هرمونات ، ثم تقذفها مباشرة فى الدم دون الاستعانة بقناة خاصة تسير فيها هذه الهرمونات .

- الغدد الصماء :

ويحتوى جسم الإنسان على عدد من الغدد الصماء تنتشر فى النصف العلوى من الجسم بالترتيب التالى :

١- الغدة الصنوبرية :

وتوجد بأعلى المخ ، وتضمر قبل البلوغ .

٢- الغدة النخامية :

وتوجد فى منتصف الرأس ، وتتدلى من السطح السفلى للمخ .

٣- الغدة الدرقية :

وتوجد بأسفل الرقبة أمام القصبة الهوائية .

٤- جارات الدرقية :

وهى أربعة فصوص تنتشر حول الغدة الدرقية .

٥- الغدة التيموسية :

وتوجد داخل تجويف الصدر ، فى الجزء العلوى ، وهى كالصنوبرية تضمر قبل البلوغ .

٦- الغدد التناسلية :

الخصية فى الرجل ، والمبيض فى المرأة .

- وظيفة هرمونات الغدد الصماء :

تسيطر الهرمونات على وظائف الأعضاء المختلفة وتتعاون معاً على تقرير شكل الجسم وذلك بتأثيرها على نمو الجنسين وسيطرتها على تطوره ، وبتأثيرها فى تنظيم عملية تغذية الطفل ومدى استفادته من هذه التغذية ، هذا والاختلاف فى إفراز الهرمونات يؤدى إلى تغير وتحول النمو عن مجراه الطبيعى ، فيقف فى بعض النواحى أو يزداد فى نواحى أخرى بطريقة تعرض حياة الفرد للمرض أو للفناء ، وفى أيضاً تنظيم النشاط الحيوى العام والنشاط العقلى للكائن الحى .

رابعاً : التغذية

مما لاشك فيه أن الغذاء هام وضرورى لنمو الجسم وتوفير الغذاء السليم الصحى يساعد على :

١- تكوين بنية الجسم من جهة .

٢- تكوين وتجديد الأنسجة المستهلكة أثناء نشاط الطفل اليومى .

وعدم توفير الغذاء يؤدى إلى تعطيل وعرقلة النمو الجسمى الذى يؤثر بدوره فى باقى جوانب النمو فالغذاء الغير كافى والغير سليم يؤدى إلى عرقلة النمو وإلى إصابة الإنسان بالأمراض المختلفة .

وللغذاء أهميته النفسية ذلك لأنه الدعامة الأولى التى تقوم عليها علاقة الطفل إذ أن الأم هى المصدر الأول الذى يمتص منه الطفل الغذاء ، ثم تتطور هذه العلاقة بعد ذلك إلى علاقات نفسية واجتماعية .

ويتأثر الطفل فى ميوله إلى بعض ألوان الطعام وفى عزوفه عنت البعض الآخر وكراهيته لها بالعادات الغذائية التى تسيطر على جو أسرته وبالمجتمع الذى يحيا فيه وبالثقافة التى تهيمن على نشأته الأولى وعلى مراحل نموه .

وهكذا تؤثر الفروق النفسية الاجتماعية العنصرية الدينية الجغرافية على اتجاهات الطفل نحو الألوان المختلفة وعلى تعصبه النفسى ، فالطفل الصغير ، والإنسان البدائى يترددان طويلاً قبل أن يمدا أيديهما إلى الطعام لم يتعودا عليه ولم يريا عشيرتهما وذويهما يأكلانه من قبل .

ويتأثر نمو الفرد بنوع وكمية غذائه وتتلخص وظائف هذا الغذاء فى تزويد الجسم بالطاقة التى يحتاج إليها للقيام بنشاطه وفى إصلاح الخلايا التالفة وإعادة بنائها وفى تكوين خلايا جيدة وفى زيادة مناعة الجسم ضد بعض الأمراض ووقايته منها .

ولقد دلت التجارب والأبحاث العلمية التى قام بها العلماء على أن أهم المواد الغذائية التى يحتاج إليها الفرد فى نموه ومحافظته على استمرار حياته ونشاطه هى :

١- الموارد الكربوهيدراتية :

وتشمل السكريات والنشويات .

٢- المواد الدهنية :

وتشمل الزيوت والدهون .

٣- المواد البروتينية :

وتشمل اللحوم والأسماك والبقوليات .

٤- الأملاح المعدنية :

وأهمها الفسفور والكالسيوم .

٥- الفيتامينات :

وتشمل فيتامين أ ، ب ، ج ، د ، هـ ، ك

٦- الماء .

خامساً : النضج والتعلم :

النضج يؤدى إلى :

أ) نضج جسمى .

ب) نضج عقلى .

ج) نضج انفعالى .

د) نضج اجتماعى .

ويقصد بالنضج الوصول إلى حالة النمو الكاملة أو العملية التى يصل بها الكائن الحى إلى حالة النمو الكامل وهى عبارة عن التغيرات الداخلية فى الكائن الحى التى ترجع إلى تكوينه الفسيولوجى والعضوى ، خاصة الجهاز العصبى ، ولا تلعب العوامل البيئية – أى الخارجية – أى دور فى خلق هذه التغيرات وإبداعها ، ولكن يقتصر على تدعيمها وتوجيهها ويجب أن تميز بين النضج والتعلم ، فالنضج يتعلق بالنمو ، بينما التعلم يتعلق بالتدريب والتمرين وكلاً من النضج والتعلم يؤثران فى جوانب النمو ويتأثران بهم .

فالطفل لا يتعلم الكلام حتى ينضج الجهاز الصوتى عندمايصل إلى درجة معينة من النضج ولكنه لا يتعلم اللغة إلا بالتدريب والتمرين .

سادساً : العوامل الثانوية :

وتشمل :

أ) المرض والحوادث .ب) الانفعالات الحادة .

ج) الولادة المبتسرة . د) السلالة العنصرية .

هـ) الهواء النقى وأشعة الشمس .

أ) المرض والحوادث :

تؤثر بعض الأمراض التى تصاب بها الأم أثناء حملها على النمو ، ولقد دلت أبحاث *L.W. Sontag* على أن إصابة الأم بالملاريا واعتمادها على الكينين أثناء علاجها قد يؤثر على الأذن الداخلية

للجنين ، فيصاب الطفل بصمم كلى أو جزئى ، ويؤثر هذا الصمم على النمو اللغوى فيعطله أو يعوقه .

هذا وقد تؤدى الولادة العسرة التى تشوه الجمجمة فيؤخر هذا التشوه النمو العقلى أو قد يعوقه . وتؤثر بعض الأمراض البدنية على النمو الانفعالى والاجتماعى .

فالطفل المصاب بالهيموفيليا *Hemophila* ، فهو لذلك يخشى دائماً على حياته فيعيش قلقاً ويبعد دائماً عن رفاقه حتى لا يصاب بأى حرج ما ، وهو يلعب معهم وبذلك تضيق دائرة تفاعله الاجتماعى ويتأخر نضجه .

ب) الانفعالات الحادة :

يتأثر الطفل بالانفعالات الحادة التى تهيمن على حياته ، ولقد دلت أبحاث *E. M. Widdowson* التى أجراها على الأطفال الذين يعيشون فى ملاجئ اليتامى بألمانيا والذين تمتد أعمارهم من ٤ إلى ١٤ سنة على أن الانفعالات القوية الحادة تؤخر سرعة نمو هؤلاء الأطفال تأخيراً واضحاً .

ج) الولادة المبتسرة :

يولد بعض الأطفال ولادة مبتسرة (أى أنهم يولدون قبل أن تكتمل المدة الطبيعية للحمل وهى ٩ شهور) ، قد جدلت أبحاث ستينر *M. Stener* وبونرمس *W. Poneramce* على أن نسبة الوفيات بين الأطفال الرضع تتناسب تناسباً عكسياً ومدة الحمل ، فكلما نقصت هذه المدة زادت نسبة الوفيات ، وكلما زادت هذه المدة نقصت نسبة الوفيات ، هذا وتتأثر الحواس عامة بهذه الولادة المبتسرة وخاصة حاسة البصر .

د) الســـلالـــة :

تختلف سرعة النمو تبعاً لاختلاف نوع سلالة الطفل ، فنمو الطفل السعودى يختلف إلى حد ما عن نمو الطفل الأمريكى ، وتختلف أيضاً عن نمو الطفل اليابانى .. وهكذا ، يختلف النمو تبعاً لاختلاف السلالة الإنسانية التى ينتمى إليها الطفل ، وتدل الأبحاث العلمية الحديثة على أن سرعة نمو أطفال شعوب البحر الأبيض المتوسطا تفوق سرعة نمو أطفال شمال أوربا .

هـ) الهواء النقى وأشعة الشمس :

يتأثر النمو بدرجة نقاوة الهواء الذى يستنشقه الطفل ، فأطفال الريف والسواحل ينمون أسرع من أطفال المدن المزدحمة بالسكان ، ولأشعة الشمس أثرها الفعال فى سرعة النمو خاصة الأشعة فوق البنفسجية .

ولذلك نجد أن الدول المتقدمة تهتم اليوم بموضوع تلوث البيئة ، وطرق مكافحة تلوث البيئة ، وذلك لتقليل نسبة الأضرار الناتجة عن هذا التلوث .

وقد أصبح موضوع تلوث البيئة يشغل بال العلماء وإدارات الأبحاث لما له من أثر كبير على الإنسان .

المميزات العامة للنمو

النمو ظاهرة حيوية تنفرد بصفات عامة تميزها عن الظواهر العلمية الأخرى ، وترتبط هذه الصفات ببعضها البعض ارتباطاً وثيقاً فتنشئ من ذلك كله تنظيماً منطقياً يقوم فى جوهره على الملاحظة الدقيقة والتجريب العلمى .

القوانين العامة للنمو :

١) الكائن الحى ينمو نمواً داخلياً كلياً :

ينمو الكائن الحى منذ الميلاد فى جميع النواحى الجسمية والعقلية والاجتماعية والانفعالية بطريقة معينة تجعله يحافظ دائماً على سماته الرئيسية سواء كانت هذه السمات نفسية أو حيوية أو عضوية ، فالكائن الحى ينمو من الداخل وليس من الخارج ، ونموه كلى وليس جزئى ، فالنمو يحدث فى الكائن الحى من حيث أنه وحدة واحدة .

٢) نمو الكائن الحى وحدة مستمرة :

النمو عملية مستمرة متدرجة فى زيادتها ونقصانها ، لا تخضع فى جوهرها للطفرات المفاجئة ، وبذلك ينتقل الفرد فى نموه من طور إلى آخر انتقالاً مباشراً . وتخضع أطوار النمو لتتابع منتظم وتأتلف مظاهره فى سلم متعاقب الدرجات لا تتقدم فيه خطوة عن أخرى . وهكذا يسير النمو بكل مظهر من مظاهره المختلفة فى خطوات متلاحقة بحيث تعتمد كل خطوة من تلك الخطوات على التى سبقتها وتمهد الطريق إلى ظهور الخطوة التى ستليها .

ولكل خطوة من تلك الخطوات مداها وسرعتها وحدودها ، بمعنى آخر أن كل فترة من فترات النمو تتأثر وتتوقف على ما قبلها ، كما أنها تؤثر فيما بعدها ، وأى تأثير غير طبيعى يحدث فى فترة ما فإنه يؤثر فى الوحدة العامة للنمو ، والنمو وحدة مستمرة .

٣) النمو يسير من العام إلى الخاص :

النمو يسير من العام إلى الخاص فنجد أن الطفل يستجيب فى مستهل حياته بكل جسمه ثم بعد ذلك تخصص استجابات ، فهو يبتسم

لأمه ويدبر عن الغريب ، كذلك الحال فى نموه اللغوى فهو يطلق مقطعاً على الرجال وآخر على النساء ثم بعد ذلك يخصص أباه باسم معين وأخوته بأسمائهم ، وكذلك الحال فى نموه العقلى إذ ينمو الذكاء أولاً ، ولا تظهر الاستعدادات الخاصة والقدرات الخاصة إلا فى سن متأخرة نسبياً .

٤) العلاقات الموجودة بين مظاهر النمو فى النواحى المختلفة
علاقات موجبة :

إن العلاقات الموجودة بين مظاهر النمو فى نواحى المختلفة الجسمية والعقلية والاجتماعية والانفعالية علاقات موجبة وليس سلبية ، بمعنى أننا نتخذ من نمو أساليب السلوك الحركى دليلاً على نمو ذكاء الطفل ، كما أن تأخر النمو فى بعض النواحى كالمشى مثلاً قد يدل على تأخر فى النمو العقلى وذلك لأن كل ناحية من نواحى النمو تأثر وتتأثر بنواحى النمو الأخرى .

٥) النمو عملية كمية وكيفية :

لعملية النمو جانبان هما : النمو التكوينى ولنمو الوظيفى ، وهما جانبان لا ينفصلان عن بعضهما البعض ولا يتميزان تميزاً واضحاً ، فالطفل ينمو فيتناول النمو تكوينه من ناحية ووظائف أعضائه من ناحية أخرى ، وهو يمر بمراحل متتابعة من النمو حتى يتم نضجه فى هاتين الناحيتين ، تلحقه تغيرات تدريجية خلال هذا النضج وهناك الكثير من الشواهد تدل على أن النمو فى الحجم يسير جنباً إلى جنب مع النمو فى الوظيفة ، فالجهاز الهضمى للطفل مثلاً ينضج حجماً كما ينضج وظيفة ، وتناوله تغيرات ملحوظة تعبر تعبيراً واضحاً عن

النضج فى كلا الجانبين وإن كان النمو فى الحجم أكثر وضوحاً إذ أنه يخضع للنمو العام الظاهر للجسم بأكمله فإن النمو فى الوظيفة يستدل عليه من ازدياد قدرة الطفل على هضم الأطعمة الأكثر تعقيداً ، وهذا ينطبق على كل مظاهر النمو فالنمو التكوينى عملية كمية والنمو الوظيفة عملية كيفية .

٦) معدل النمو غير ثابت :

معدل النمو غير ثابت فهو يبدو سريعاً فى فترة الطفولة الأولى وفى طفولة ما قبل المدرسة ، بينما يبطئ بعد دخول الطفل المدرسة ثم يرتفع النمو ثانية قبل البلوغ خصوصاً فى بعض الجوانب ويستمر هذا المعدل ثابتًا تقريباً بضع سنوات ، ثم يبطئ من جديد عندما يشرف المراهق على النضج .

٧)لكل جانب من جوانب النمو معدل خاص :

إن جوانب النمو المختلفة الجسمية والعقلية والانفعالية والاجتماعية لا تنمو جميعاً بمعدل واحد فى وقت واحد ، ومن الملاحظ أن الطفل لا تتعدى قدرته الكلامية خمس كلمات عندما يكمل الشهر الثانى عشر من عمره ولكنه لا يكاد يبلغ كلمة وحدة أخرى خلال الأشهر الثلاثة التالية ، كذلك يلاحظ اضطراب التلاميذ فى تحصيلهم خلال انصراف طاقتهم إلى النمو الجسمى المفاجئ قبيل فترة البلوغ وخلالها كما يلاحظ اختلاف معدل النمو الجسمى اختلافاً واضحاً بالنسبة للجانب العقلى فى هذه الفترة .

كما نلاحظ أن النمو الاجتماعى والانفعالى ينمو بمعدل مختلف عن النمو الجسمى ويختلف ذلك حسب طبيعة كل مرحلة من مراحل النمو .

٨) للظروف البيئية أثرها على النمو بمعدلاته :

تبين أن للظروف البيئية وإن كانت غير متبعة لحاجات الطفل الأساسية أدت إلى التأثير فى معدل النمو وفى أنماطه فهناك الكثير من الأطفال فى عالمنا يعانون سوء التغذية فى السنوات الأولى من العمر ، مما يؤدى إلى نموهم نمواً غير صحيحاً ، كما أن هناك الكثير مما تعرضوا لمآسى الحرب العلمية الأخيرة من فقدانهم لأسرهم وتعرضوا للغارات الجوية العنيفة المتوالية إلى جانب الكثير ممن يحرمون من جو الأسرة المستقرة السعيدة بسبب الطلاق وسوء الحالة الاقتصادية أو إدمان الكحول أو المخدرات ، كل هؤلاء لاشك تتأثر شخصياتهم النامية بهذه الصدمات والمعوقات ومظاهر الحرمان مما يؤثر عليها من الناحية السيكولوجية أبلغ الأثر .

مجمل القول أن البيئة الصالحة والرعاية الطبية والإمكانيات الغنية والاستقرار النفسى هى الجوانب البيئية التى يمكن أن نخضعها للضبط إلى جانب العوامل الوراثية التى لازالت بعيدة عن متناول إمكانياتنا ، فالظروف البيئية إذن هى أملنا فى إيصال العوامل الوراثية إلى أقصى ما تستطيع أن تبلغه خلال عملية النمو .

٩) هناك فروق فردية فى مختلف جوانب النمو :

الأطفال جميعاً ليسو سواء هناك القوى كما أن هناك الضعيف وهناك المتقدم عقلياً كما أن هناك الوسط والمتأخر ، هناك النشيط الممتلئ حيوية وهناك الخامل القليل الحركة ، هناك المنبسط ، كما أن هناك المنطوى ، وما إلى ذلك من مظاهر الفروق الفردية بين أبناء العمر الواحد من الأطفال وإذا عبرنا عن هذه الفروق الفردية فى سمة من السمات أو فى جانب من جوانب النمو بالرسم البيانى وجدنا أنها تقع جميعها فيما يعرف (بالمنحنى الاعتدالى) أو (منحنى الجرس)

الذى يعبر عن التوزيع الطبيعى للفروق الفردية بين الأفراد فى أى صفة من الصفات ففى الوزن مثلاً نجد أن الغالبية العظمى متوسطى الوزن وقلة وزنها ضعيف وقلة أخرى وزنها ثقيل ، وكذلك فى الذكاء نجد أن الغالبية متوسطى الذكاء ونسبة قليلة عباقرة عالين الذكاء ونسبة قليلة أخرى ضعاف العقول .

ويلاحظ أن الزيادة المفرطة أو النقص المفرط فى صفة من الصفات يعدان أمر شاذ عن الوضع الطبيعى ، فمثلاً النقص أو الزيادة المفرطة فى وزن الجسم يعدان أمران مضرين بالصحة بينما يعد المفرط فى العمر العقلى على جانب كبير من القبول .

كذلك يلاحظ أن هناك من الأطفال من لا يسيرون فى نموهم تبعاً لحلقات النضج المتتابعة ، فالمألوف أن الطفل يحبو أولاً قبل أن يمشى ولكن بعض الأطفال يمارسون المشى دون المرور سلوك الحبو على الإطلاق .

ويختلف الأولاد عن البنات فيما يتعلق بمعدل النمو ، وفيما يتعلق بوزن الجسم يلاحظ أن الأولاد يفوقون البنات فى سرعة النمو فى السنوات الأولى من العمر . وفيما بعد الرابعة عشر أما خلال السنوات الأول الدراسية فهناك تشابه فى الوزن إلى حد ما ثم يزداد وزن البنات عن الأولاد فيما بين التاسعة والرابعة عشر ، ومرور هذا إلى نضجهن السريع وأسبقيتهن فى الدخول فترة البلوغ ، كما تلاحظ الفروق الفردية بين أبناء الجنس الواحد فى مستويات النضج المختلفة الجسمية والعقلية والانفعالية والاجتماعية فى مراحل النمو المختلفة .

١٠) النمو عملية معقدة تتفاعل فيها كل جوانبه :

من الخطأ أن ننظر إلى جوانب النمو المختلف على أنها منفصلة عن بعضها البعض فلا يمكن أن ننظر أو نفهم الحالة الجسمية للطفل دون اعتبار لحالته العقلية ، كما لا يمكن أن نفهم نموه العقلى دون الإحاطة بحالته الجسمية وحاجاته ، وهناك علاقة وثيقة بين التكيف الكلى للطفل فى المدرسة وصحته العامة وكفايته العقلية ونموه الانفعالى ، فقد يكون للتعب أو الجوع تأثيره على سلوكه ، كما قد تعد الإصابة الجسمية ذات أثر على الاتجاهات الاجتماعية وتكيف الطفل الاجتماعى .

كما أن سرعة النمو تختلف باختلاف نسب الذكاء ، فالأذكياء ينمون أسرع من الأغبياء فالعلاقة بين مختلف جوانب النمو علاقة موجبة إذ يؤثر كل جانب فى الآخر ويتأثر به ، والقول المأثور (العقل السليم فى الجسم السليم) .

وكل الملاحظات العلمية على أن ضعاف العقول من المعتوهين والبله يتأخرون فى نموهم الجسمى والنفسى والاجتماعى ، وتدل على أن الأذكياء يراهقون قبل الأغبياء ، هذا إذا تساوت جميع الظروف المختلفة الأخرى .

كما أن الطفل الذى يمتاز فى ذكائه يمتاز أيضاً فى استعداداته الأخرى وقدراته المختلفة ، وهكذا نجد أن مظاهر النمو ترتبط مع بعضها ارتباطاً وثيقاً ، فالنمو كما قلنا عملية معقدة تتفاعل فيها جميع جوانبه .

الفصل الثانى
مرحلة المهد

الفصل الثاني
مرحلة المهد

يمثل الأسبوعان الأوليان من عمر الوليد عملية التكيف " الحرجة " مع البيئة الجديدة لاختلافها تماماً عن البيئة الرحيمة ، إذ عليه أن يكيف جسمه وأعضاءه للظروف الجديدة بعد التخلص من السائل الأميونى الذى كان يملأ فراغات فمه وأذنيه وأنفه ، وتبدأ جميع أجهزة جسمه وأعضائه وحواسه فى العمل ، كما تقوى ضربات القلب وتزداد سرعتها عما كانت قبل الولادة ليستطيع دفع الدم إلى كافة أجزاء الجسم بما فى ذلك الرئتين وانتظام الدورة الدموية لمواجهة الإجهاد المترتب على التغير الحاد للضغط الجوى الجديد ، وفيما عدا ما هو مزود به من استعدادات فطرية وانعكاسات أولية بسيطة (مثل منعكس المص والبلع) وقدر من المناعة التى اكتسبها من المشيمة خلال الشهرين الآخرين قبل الولادة ، فإنه يعد أضعف الكائنات الحية عند الولادة ، فليس لديه من وسيلة مباشرة لحماية جسمه من الأخطار الخارجية وحصوله على احتياجاته من الغذاء والدفء سوى الاعتماد التام على ما تتيحه له بيئته من رعاية ، لذلك تكاد أن تتركز نسبة كبيرة من وفيات الأطفال خلال هذين الأسبوعين .

المظاهر المختلفة لنمو الوليد :

يطلق على الأسبوعين الأولين من عمر الطفل مصطلح الوليد *Neonatal* نظراً لتميز المظاهر المختلفة للنمو خلال هذه الأيام القليلة بسرعات وإيقاعات متباينة تختلف عن مرحلة ما قبل الولادة التى كان يخضع فيها النمو لنظام متسق وصارم ، وعن مرحلة المهد (الأسبوع الاول وحتى بداية السنة الثانية) التى لا يدانيها فى سرعة النمو أى

مرحلة أخرى بعد ذلك ، إذ يبلغ متوسط وزن الوليد عند الميلاد ثلاثة كيلو جرامات ، وطول جسمه ٥٠ سم ، ويأخذ وزنه فى التناقص التدريجى عقب الولادة بسبب عملية التوافق مع الظروف الجديدة وتأخر الجهاز الهضمى فى استكماله لوظائفه بعض الوقت ، ويفقد الوليد ربع إلى ثلث كيلو جرام من وزنه خلال الأيام الثلاثة أو الأربعة الأولى ، لكنه سرعان ما يستعيد وزنه الأول ويزداد بمعدل كيلو جرام كل أسبوع .

وتبدو الفروق واضحة بين الرضع حديثى الولادة فى الحجم والطول وصفات الجسم الخاصة ، كما يكون الذكر أكبر حجماً من الأنثى بصفة عامة فى حدود ٤٪ وأطول فى حدود ٢٪ وأثقل وزناً فى حدود ربع كيلو جرام فى المتوسط .

وبالرغم من أنه لا تطرأ تغيرات واضحة فى الطول خلال هذين الأسبوعين إلا أن نموه الجسمى يتوقف على نوعية اللبن الذى يرضعه وكميته وانتظام الرضعات ، وأوضحت نتائج الدراسات (٢١ ، ٨١ ، ٩٤) الحديثة أن الرضاعة من الثدى تمثل أفضل هذه النوعيات من ناحية قيمتها الغذائية ، بالإضافة إلى أنها تتيح للوليد تناول أى كمية يريدها من اللبن حسب احتياجات جسمه المتغيرة من فترة لأخرى .

كل ذلك تحت ظروف صحية مثالية من ناحية التعقيم والنظافة ودرجة الحرارة الثابتة للبن الأم فى كل الأوقات ، ويتوقف معظم سلوك الوليد خلال هذين الأسبوعين على انتظام الوظائف الفسيولوجية خصوصاً المص والبلع والهضم والإخراج والنوم وكفاءة الدورة الدموية ، إذ تصل معدل ضربات القلب عند الميلاد ١٦٠ ضربة فى الدقيقة بينما هى عند الراشد ٧٢ ضربة فقط ، ويتبع ذلك زيادة سرعة التنفس وضعف

ضغط الدم ، كما يقضى معظم وقته فى النوم كاستجابة طبيعية للإجهاد ، حيث تنخفض – خلال النوم – درجة حرارة الجسم ويقل النشاط الحركى وتبطؤ الدورة الدموية وتقل سرعة التنفس وتصبح أكثر انتظاماً ، وهذا كله يعمل – من الوجهة الفسيولوجية – على تقليل الفاقد من الطاقة وادخارها لعميلة النمو ، ويبلغ وزن المخ عند الميلاد ربع نظيره عند الراشد ، ويولد الطفل وقد اكتملت خلايا جهازه العصبى ، بيد أن وظائفه لا تكتمل إلا تدريجياً وعلى مدى سنوات الطفولة كلها بعد أن تستكمل عملية التميلن (تكوين مادة ألميلين حول الأعصاب لعزلها عن بعضها) ، ونظراً لعدم قدرة الوليد على احتفاظه ذاتياً بدرجة حرارة ثابتة عند ٣٧ درجة فإنه فى حاجة إلى رعاية البيئة لتنظيم حرارتها وثباتها .

ويكاد أن يعتمد الوليد على حاسة الشم وإلى حد ما التذوق (البدائيتين) فى استجاباته الانعكاسية للرضاعة ، ويطرأ على هاتين الحاستين نمواً سريعاً خلال هذين الأسبوعين نظراً لارتباطهما المباشر بالرضاعة ، إذ يكتسب بالتدريج حاسية للمواد الحلوة والمعتدلة الحرارة فيقبل عليها وينفرد من المواد المرأة والمائعة ،كما يستجيب لبعض الروائح النفاذية لكنه لا يقوى على التميز بينها . وتكون حاسة اللمس قوية خصوصاً فى منطقة الشفتين والطرف الأمامى من اللسان بيد أن استجاباته للمثيرات السمعية والبصرية تكون ضعيفة جداً نظراً لعدم استكمال الأذنين والعينين لوظائفها .

مظاهر النمو خلال مرحلة المهد :

باكتمال الوليد أسبوعه الثانى سالماً يكون قد اجتاز أحرج فترات التكيف وأكثرها حساسية وتأثيراً على مسيرة نموه بعد ذلك ، ومرحلة "

المهد " تسمية اعتبارية لأهم سنتين فى حياة الطفل ، يكون خلالها معتمداً كلية على والديه سواء فطم خلالها و بعدها ، ويمكن أن نطلق على هذه المرحلة اسم " الفطيم " نظراً لتشابه معناه اللغوى مع المقصود نمائياً بهذه المرحلة ، مع ملاحظة أن الفترة التى تستغرقها معنى " فطيم " تقف عند الفطام فقط بصرف النظر عن السن الذى يفطم فيه الرضيع ، إذ ربما يفطم فى عامين أو قبل ذلك أو بعده ، على حين أن الفترة التى تستغرقها مرحلة " المهد " تنتهى بنهاية العام الثانى بصرف النظر عن فطام الطفل قبل ذلك أو بعده .

النمو الجسمى والفسيولوجى فى مرحلة المهد :

إذا كانت السرعة العامة للنمو خلال هذه الفترة من أكثر المعدلات ارتفاعاً فى دورة حياة الإنسان (بعد الولادة) ، فإن السرعة الجزئية للنمو الجسمى والفسيولوجى خلال هاتين السنتين من أكثر المعدلات ارتفاعاً إذا ما قورنت بالمظاهر الأخرى للنمو ، إذ يزداد وزن الطفل بمعدل ربع كيلو فى الأسبوع خلال الشهر الأول والثانى ثم يقل هذا المعدل بالتدريج خلال الأشهر التالية ليصل وزنه على نهاية الشهر الخامس (٦ كيلوجرامات فى المتوسط) ضعف وزنه عند الولادة ، ويصل على نهاية عامه الأول إلى ثلاثة أضعاف هذا (٩ كيلو جرامات فى المتوسط) الوزن وما يقرب من أربعة أضعاف (١٢ كيلو جراماً فى المتوسط) على نهاية عامه الثانى .

ويزداد طوله بمعدل ٢ سم كل شهر ليبلغ طوله الكلى ٧٤ سم على نهاية السنة الأولى ثم يقل معدل الزيادة خلال السنة الثانية ليصل طوله الكلى على نهايتها إلى ٨٤ سم ، وتنمو العضلات فى حجمها

وليس فى عددها ، وتزداد قدره على التحكم فيها ، وتحل بالتدريج العظام محل الغضاريف الخارجية ، وتقوى صلابة عظام الفخذية والساقين والظهر لتستطيع تحمل الجسم أثناء المشى ، وتبدأ ظهور الأسنان المؤقتة أو اللبنية خلال الشهر السادسة تقريباً ، وأول ما يظهر منها قاطعين فى الفك السفلى (٤ – ٩ أشهر) ، ثم أربعة قواطع علوية (٩ – ١٢ شهراً) فأربعة أضراس أمامية (١٥ – ١٨ شهراً) ، ثم تظهر أربعة أنياب خلال الأشهر الستة الأخيرة من العام الثانى .

ويساير النمو الفسيولوجى النمو الجسمى خصوصاً الجهاز الهضمى والدورى والعصبى والغدى والتنفسى والبولى ، إذ ينمو المخ فى الوزن والحجم فيزداد من ٣٥٠ حجم إلى ما يقرب من ألف جرام فى المتوسط على نهاية العام الثانى ، كما تنشط الغدة الصنوبرية والتيموسية لكف وتعطيل وظائف الغدد الجنسية ، ويكون للاتزان الهرمونى دوراً حاسماً فى تحديد مسيرة النمو خلال هذه الفترة وما بعدها .

كما تزداد سعة الرئتين لتزويد الجسم النامى باحتياجاته المتجددة من الأكسجين ، وهكذا بالنسبة للمعدة حتى تواجه احتياجاته المتزايدة من الغذاء ، ويرتبط بهذه السعة الزيادة التدريجية فى حجم وعدد الرضعات لتصل فى الشهر الخامس والسادس ما بين ٥ – ٦ رضعات فى اليوم وتقل عن ذلك فى النصف الثانى من العام الأول ، ويلاحظ أنه كلما قل عدد الرضعات زادت كمية الرضعة بنسبة كبيرة ، بمعنى أن الزيادة مطردة فى حجم أو كمية اللبن والسوائل كلما تقدم فى العمر وحتى الفطام ، مع نقص تدريجى فى عدد الرضعات ، ونظراً لزيادة

احتياجات الرضيع من المواد الغذائية ، فإن اللبن وحده – سواء كان مصدره الأم أو غير ذلك – لا يقوى على تلبية هذه الاحتياجات ، وتشرع الأم فى إضافة جرعات متدرجة من عصائر الفواكه الطازجة والبروتينات السائلة (مثل صفار البيض) وغير ذلك منذ الشهر الثالث ، كما يلاحظ تناقص ساعات النوم بالتدريج فتصل إلى ١٥ ساعة تقريباً على نهاية النصف الأول من عامه الأول و ١٤ ساعة خلال نصفه الثانى ، وتقل بالتدريج لتصل إلى ١٣ ساعة خلال النصف الثانى من عامه الثانى .

النمو الحركى :

يعتبر النمو الحركى انعكاساً لنشاط كفاءة الجهاز العصبى المركزى ، إذ يعنى تفاعل الطفل مع المثيرات البيئية ، سواء المادية أو الاجتماعية ، تحكمه التدريجى فى جسمه وعضلاته وحواسه على نحو يمكنه من السيطرة النسبية والتدريجية على بعض العناصر المحدودة لمجاله الحيوى ، كما أن النمو الحركى وسيلة الطفل لامتداد هذا المجال واكتشاف عوالم أخرى بعيدة عن نطاق جسمه وبيئته الأسرية المحدودة . أن النمو الحركى فى هذه المرحلة والمراحل التالية يسير من عدم الانضباط إلى الانضباط أى من العام إلى الخاص ، فى نفس الوقت الذى يسير فيه من الخاص إلى العام ، ولا يوجد ثمة تعارض بين الاتجاهين إذ بعد الانتقال من العام إلى الخص فى تمايز الحركات العامة لتصبح أكثر تخصصاً وتحديداً وانضباطاً ، يظهر الانتقال من الخاص إلى العام على شكل تكامل الأنشطة والحركات المنعكسة وما يحدث فيما بينها وبين الحواس المختلفة من تآزر وترابط .

وتتطور حركاته الانعكاسية العشوائية العامة إلى حركات واستجابات إرادية للمثيرات الخارجية ، فيستطيع أن يرفع رأسه ويديرها قرب نهاية الشهر الأول ، ويرفع صدره ويمد يده إلى الأشياء دون أن يتمكن من الوصل إليها بدقة خلال الشهرين الثانى والثالث ، ثم يتعلم الجلوس والإمساك بالأشياء ونقلها من يد إلى أخرى خلال الشهر الرابع والخامس ويستطيع فى الشهر السادس السابع التوازن أثناء الجلوس على كرسى دون أن يسقط وهكذا تتطور مهاراته الحركية فيتعلم الحبو والوقوف بمساعدة الغير ثم بالاستناد على الأشياء (ليس بالضرورة أن يمر كل طفل بهذه الخطوات) .

وخلال النصف الأول من عامه الثانى يكون (فى المتوسط العام) قد أتقن المشى وتعلم الصعود على السلالم ويستطيع التحكم فى حركات يديه وعينيه فيكون مبنى من مكعبين ثم من ثلاثة مكعبات ، ويقدر على تصويب الكرة وقذفها فى الصندوق ، وبنهاية عامه الثانى يستطيع أن يعتلى كرسياً بمفرده وينزل ويصعد السلالم ويمشى للخلف ، يركل بقدميه ، يجرى ويقلد الخطوط والرسوم الهندسية البسيطة مثل الدائرة والمثلث .

النمو الحاسى :

يساير النمو الحاسى نموه الحركى نظراً لأن معظم المهارات التى سبق الإشارة إليها تعتمد على درجات متفاوتة من التآزر بين العينين واليدين والقدمين ، كما يزداد تحكمه فى حركات جسمه بتطور وظائف الأذن الوسطى والمخيخ (وغير ذلك من الأعضاء

المسئولة عن دقة التوجيه المكانى والتعرف على الاتجاهات المكانية) .

ويعتمد هذا أيضاً على تحسن وظائف العينين واعتدال المسافة البؤرية وتطور عملية التآزر بين العينين واليدين ، ثم بينهما والقدمين وتحسن العتبات البصرية كذلك ، كما تتطور حاسة السمع لتصبح أكثر تميزاً بين الأصوات المتباينة ، خصوصاً الضعيفة أو الخافتة والتعرف على مصادر ألأصوات وتتبعها والقدرة على التوازن عند حركة الجسم فى المكان .

كما يستجيب بالتدريج للمثيرات الشمية المتباينة ، وينفر من الروائح المقززة أو النفاذة الأمر الذى يساعده على تجنب بعض الأضرار الجسمية التى قد تحدث نتيجة فساد أو تغير طعم اللبن أو حلمة الثدى ، وترتبط حاسة التذوق بحاسة الشم حيث يستطيع التمييز بين الحلو والمالح والمر والحامض ، وتتصف هذه المرحلة بالإدراك الحسى شبه المبهم للأشياء التى حوله وأنها " مخلوقات حية " وتمركزه الشديد حول جسمه وبالتحديد منطقة الفم التى يحاول عن طريقها التعرف على كل ما قد تصل إليه يداه .

النمو العقلى واللغوى :

من المنطقى أن يكون نمو الإدراك الحسى للرضيع مدخلاً لدراسة نموه العقلى واللغوى فى هذه المرحلة ، فالإدراك الحسى عملية عقلية أساسية وأولية تعتمد عليها العمليات العقلية الأكثر تركيباً وصعوبة مثل

التذكر والتعلم والتفكير ، إنه العملية الأولية التى يتعرف عن طريقها الطفل على معالم بيئته سواء الداخلية منها أو الخارجية ، كما تتحول – عن طريقها – المثيرات الحسية إلى مدركات عقلية أى معان ومفاهيم ، ويتأثر نمو الإدراك الحسى وتطوره بمدى نضج وكفاءة الحواس والجهاز العصبى من جهة ، وقدرة الوالدين والأسرة على تعريف الطفل بالدلالات الاجتماعية والنفسية للمثيرات التى يتعامل معها من جهة أخرى ، وتأتى هذه التعريفات عن طريق التفاعل والتواصل اللفظى مع والديه والآخرين ، فيعرف المثيرات والعلامات التى تدل على الغضب والخطر والحب والسعادة وما إلى ذلك ، وعن طريق اللغة تنقل إليه الكثير من خبرات الآخرين دون شرط ممارستها مثل معنى الفشل والنجاح والمرض والصحة والحياة والموت .

ويسير النمو العقلى فى هذه المرحلة بسرعات جزئية تفوق أى مرحلة أخرى لكنها تقل عن السرعة الجزئية للنمو الجسمى والفسيولوجى فى هذه المرحلة . إذ يكون شكل الذكاء والتفكير حسياً حركياً ، نظراً لأنه لا يتضمن أى نوع من العليات العقلية العليا ، وهو ما دعا " بياجيه " إلى أن يطلق على التفكير فى هذا العمر " بمرحلة ما قبل العمليات ، وقسم التفكير خلالها إلى ست مراحل فرعية تبدأ بمرحلة الأفعال المنعكسة فى الشهر الأول مثل المص والبلع والتعرف على موضع الحلمة وخصائصها الحسة من مذاق ورائحة وملمس وتنتهى بمرحلة استحداث وسائل جديدة من خلال التشكيلات العقلية (من عمر ١٨ شهراً إلى ٢٤ شهراً) نمثل إدراك استقلال الأشياء عن ذاته ودوامها ، وأن كيان منفصل عن والديه وبيئته ، والمعنى البسيط

للزمن (خصوصاً الفرق بين اليوم والأمس) ويعتمد تتابع هذه المراحل فى درجة تعقيدها ونضجها على تفاعل المعطيات النمائية الفطرية – خصوصاً نمو الجهاز العصبى وتطور وظائف المخ – مع المعطيات البيئة ، حيث يؤدى التعلم باللعب والتقليد دوراً هاماً فى الارتقاء من الأسهل إلى الأصعب .

وهناك دلائل تشير إلى ظهور بعض القدرات فى صورتها البسيطة خصوصاً التذكر الذى تبدأ معالمه فى الظهور منذ الشهر الثامن وتتضح أكثر على مطلع العام الثانى ، إذ تتسع مدى الذاكرة بالتدريج وتأخذ صوراً حسية مختلفة مثل تذكر الأصوات والأشكال والخبرات والأحداث القريبة جداً ، كما تظهر بدايات قدرته على التمييز خصوصاً التمييز بين أحاسيسه الحشوية مثل الجوع والعطش والمغص والتعب والتمييز بين البارد والحار ، والتمييز بين الوجوه المختلفة لأفراد أسرته والآخرين .

ويتصف النمو اللغوى بالبطء الشديد ، إذ يبدأ الرضيع فى إصدار الأصوات التقائية أو المناغاة حوالى الشهر الرابع مقلداً فى ذلك الأصوات البشرية ، ويبدأ فى نطق الحروف الحلقية (آآ ، بب ...) ثم يجمع بينها وبين حروف الشفة (ماما ، بابا ...) يلى ذلك نطق الحروف السنية عندما يكتمل ظهور قواطع الأمامية العلوية والسفلية (د ، ت ...) ثم الحروف الأنفية (ن ، ض ...) فالحلقية (ح ، خ ، ك ...) وهكذا ، وعادة ما ينطق الطفل أول كلمة خلال الشهر العاشر ، تزداد إلى ثلاث كلمات عند نهاية السنة الأولى ثم ١٤ كلمة فى الشهر الثامن عشر ، وتزداد مرة واحدة إلى ١٢٠ كلمة خلال

الأشهر الأخيرة من عامه الثانى ، وعندما يكمل الطفل عامه الثانى يكون عدد الكلمات التى حصلها حوالى ٢٨٠ كلمة فى المتوسط تقريباً لقد بات من المؤكد أن النمو اللغوى للطفل فى هذه المرحلة محصلة لعدة عوامل متداخلة أهمها نمو الوظائف العصبية الراقية ، جهاز الكلام ونمو الذكاء ، وأصبح من المتعارف عليه أن المحصلة اللغوية للطفل إحدى الدلالات المؤكدة على ذكائه ونموه الاجتماعى .

النمو الانفعالى :

يندرج تحت هذا المظهر المركب من النمو مظاهر أخرى معددة تختلف باختلاف عمر الطفل وتشكل ما يعرف " بنمو الشخصية " فعندما نتحدث عن النمو النفسى للطفل خلال المهد يصعب التمييز بين الانفعال والمزاج والوجدان ، كما يختلط النمو النفسى – حسى مع النمو النفسى – اجتماعى لأن شخصيته لم تتكون بعد ، أو هى فى طور التكوين والتشكيل النشط .

وعند مناقشة المظهر الانفعالى يتعين أن يؤخذ فى الاعتبار السرعة الفائقة فى النمو الحسى والفسيولوجى – على نحو ما أوضحنا – وما يتبع ذلك من توتر واختلاف فى النشاط البيولوجى (خصوصاً الأيض والهرمونات) ، كذلك متاعب تعلم المشى وصدمة الفطام والتدريب على ضبط الإخراج وما إلى ذلك من مطالب النمو فى هذه المرحلة ، ومما يزيد الأمر صعوبة على الطفل تلازم الكثير من هذه المطالب فى فترة زمنية قصيرة ، إذ عادة ما يتزامن التدريب على المشى مع فطام الطفل وتدريبه على ضبط الإخراج والتسنين ، يضاف إلى ذلك التعبير اللفظى عن هذه المتاعب وصعوبة إدراكه لمعنى هذه الأحداث

ومبرراتها ... إن هذه الاعتبارات يستنتج منها طبيعة النمو الانفعالى فى هذه المرحلة ، تلك الطبيعة التى تتسم بالتباين والحدة التى قد لا يكون لها نظير فى تاريخ الطفل النمائى كله .

وتظهر فى بداية النمو الانفعالى القابلية للاستثارة أو التهيج العام كنوع من الانعكاسات الانفعالية للعمليات الجسمية البيولوجية التى تمثل التركيز الأول لاهتمام الرضيع ، ثم تأخذ الانفعالات فى التمايز والتخصص النسبى فتظهر البهجة والعطف ، وتظهر انفعالات البهجة والعطف ، وتظهر انفعالات الفرح فى وقت متأخر نسبياً . وغالباً ما تكون هذه الانفعالات جياشة متدفقة ومتذبذبة ، إذ يتحول الطفل بسهولة – لأى سبب خارجى أو داخلى – من أقصى حالات البهجة والانشراح إلى أقصى الانقباض والخوف .. وهكذا بالنسبة لبقية الانفعالات ، ويؤدى عدم القدرة على التعبير اللفظى عن انفعالاته (وهو فى حد ذاته تنفيس غير مباشر) إلى ترجمتها على شكل حركات جسمية تعبيرية فطرية تتسم بالتشنج والتوتر العضلى وما يصاحب ذلك من بكاء واحتقان فى الوجه والعينين وربما قئ وصراخ ، ومن المعروف أن التعبيرات الجسمية الحادة عن الانفعال تؤثر على بعض وظائف الأعضاء كتقلص المعدة وضعف السيطرة على عضلات الإخراج وزيادة إفراز العرق والأدرنالين وسرعة ضربات القلب ، وربما ينكص الصغير إلى مراحل أولية من التآزر الحركى مثل ارتداده إلى الحبو بعد أن يكون قد تعلم المشى وإصراره على مص أصابعه بعد استكمال فطامه ، أنه ينفعل بكل جسمه وبكل قوته دون أن يتناسب ذلك مع طبيعة الموقف .

الفصل الثالث
الطفولة المبكرة (٣ ــ٥ سنوات)
مرحلة ما قبل المدرسة

الفصل الثالث
الطفولة المبكرة (٣ ــ٥ سنوات)
مرحلة ما قبل المدرسة

بدخول الطفل عامة الثالث يكون قد استقر نسبياً على مفهوم تقريبى عن ذاته الجسمية ، وعلى ما يشبه الهوية الشخصية التى تنمو باستمرار علاقاته الانفعالية والاجتماعية مع والديه ومن يعيشون فى محيط بيئته ، ويمتد سنوات الطفولة المكبرة التى تعرف بمرحلة ما قبل المدرسة من بداية السنة الثالثة وحتى نهاية السنة الخامسة ، وتتميز بالبطء النسبى لمعدلات السرعة العامة للنمو إذا ما قورنت بمرحلة المهد . والتفاوت الشديد فى السرعات الجزئية لمظاهر النمو المختلفة ، حيث تتفوق السرعة الجزئية لمظاهر النمو المعرفى والانفعالى والاجتماعى على النمو الجسمى الفسيولوجى والحاسى . لقد أنهى الطفل فى المرحلة السابقة معظم المهام الحرجة وحقق مطالب النمو الأساسية التى تؤهله للتحول التدريجى إلى كائن اجتماعى لديه الاستعداد المتزايد لتمثل المعايير التى تحكم علاقاته الاجتماعية والشخصية بالآخرين خصوصاً والديه وأخوته ورفاق اللعب .

النمو الجسمى والفسيولوجى :

تنمو الأطراف بسرعة أكبر نسبياً من الجذع ، كما يتخلص الجسم تدريجياً من طبقات الشحم التى تراكمت خلال مرحلة الرضاعة ، ويبلغ متوسط أطوال الأطفال فى بداية هذه المرحلة ، أى خلال عامهم الثالث ٨٤ سم ومتوسط أوزانهم ١٤.٥ كجم بناء على المعايير المالحة للنمو الجسمى فى البيئة المصرية ، كما يصل متوسط أطوالهم فى عامهم الرابع ٩٧.٧ سم تقريباً ومتوسط أوزانهم ١٦.٤ كجم وفى العام الخامس

يكون متوسط أطوالهم ١٠٧.٩ سم ومتوسط أوزانهم ١٨.٢ كجم ويلاحظ تفوق الذكور على الإناث فى الطول بما يقرب من ١.١ سم وفى الوزن بما يقرب من ١.٥ كجم بصفة عامة .

عموماً ، تعنى هذه الزيادة أن طول الطفل على نهاية هذه المرحلة يقارب ضعف ما كان عليه طوله عند الميلاد وأكثر من خمسة أضعاف وزنه عند الميلاد أيضاً . ومع ذلك فإن هذه السرعة تقل كثيراً عما كانت عليه فى المهد ، ويكاد أن يكتمل ظهور الأسنان اللبنية خلال هذه السنوات الثلاث سواء بالنسبة للذكور أو الإناث ، وأحياناً يأخذ بعضها فى السقوط بنفس تتابع ظهورها .

وتتغير نسب أطراف الجسم والجذع عن نظيرها فى المهد وباخذ فى التحسن خصوصاً نسبة حجم الرأس إلى الجسم والساقين والذراعين إلى الجذع . ويؤثر هذا التحسن مع النمو الملحوظ فى العضلات الكبيرة (التى تسبق العضلات الصغيرة فى النمو) والصغيرة على الأداء واكتساب المزيد من المهارات الحركية الأكثر تخصصاً . وتفوق سرعة الجهاز الليمفاوى ***Lymphoid*** (الغدة الصعترية والعقد اللمفية) سرعة الطول والوزن بصفة عامة . إذ يحقق هذا الجهاز ما يقرب من ٨٠٪ من أقصى نموه خلال العام السادس . وربما تعزى هذه السرعة الفائق والاستثنائية فى النمو إلى دوره المؤثر فى تدعيم مناعة الجسم ضد الأمراض ومقاومة العدوى تحسباً لنشاط الطفل خلال هذه الفترة واحتكاكه المحتمل ببيئات مختلفة من جهة ، ونفاذ ما كان يتمتع به من مناعة مكتسبة مع الولادة من جهة أخرى . إن نمو هذا الجهاز بشكل غير عادى يجعل باعتماد الطفل على نفسه فى تكوين مناعته لذاتية . عموماً

يتأثر النمو الجسمى بنوعية الغذاء والرعاية الصحية التى تكفلها له بيئته ، كما يتأثر أيضاً بما يقوم به من نشاط حركى وعدم إصابته ببعض الأمراض الخطيرة وما يتاح له من فرص الراحة والنمو وشعور بالتقبل والأمن وما يحظى به من دفء أسرى .

ومن المعروف أن النمو العصبى يحقق ٦٠٪ من أقصى تنموه بنهاية العام الثانى ، وبحلول العام السادس يكون الجهاز العصبى قد حقق ٩٠٪ من نموه الأقصى ، وتتيح هذه السرعة الفائقة – التى لا نظير لها فى أى مظهر آخر من مظاهر النمو – إمكانية النمو العقلى والمعرفى واللغوى ليستوعب كل ما يمكن أن تحمله بيئة الطفل من مثيرات عقلية واجتماعية . وتتجلى حكمة الله سبحانه وتعالى فى هذا النمط الفريد من سرعات النمو العصبى بحيث يمكن للطفل فى هذه المرحلة ما يليها من مراحل أخرى أن يتكيف عقلياً مع أكثر الظروف المعرفية تركيباً وصعوبة مهما كان من أمر تطورها ورقيها الحضارى وهذا يذكرنا بحكمة خلق مخ الإنسان الذى يستطيع أن يستوعب بغير حدود أى تطور فى المعرفة والتفكير نتيجة حضارة الإنسان فى المستقبل الذى ربما لا يخطر على بال أحد الآن ، ولعل وجود بعض مناطق فى المخ (على شكل فراغات) ليست لها وظيفة معروفة حتى الآن تؤكد هذا الاستنتاج ، وهو ما يذكرنا بحكمته البالغ – جلت وعلت قدرته – فى خلقنا بأعضاء حيوية مثل الكليتين تستطيع أن تضاعف كفاءة وظيفتها مرات ومرات لمواجهة أى احتمال أو مواقف غير عادية يواجه الإنسان ، لأنه فى الظروف العادية يستطيع أن يعيش بما

يقرب من ربع كلية واحدة فقط دون تأثير خطير على وظائفه الحيوية الأخرى .

عموم هنا عدد من مناطق المخ لا يكتمل تمليتها حتى العام الثالث أو الرابع ، كما أن الألياف العصبية الكبرى التى تربط المخ بالمخيخ لا يكتمل تمليتها إلا بعد الرابعة ويلاحظ أن هذه الألياف أو الأعصاب هى المسئولة عن ضبط الحركات الإرادية الدقيقة أو الراقية ، وهكذا بالنسبة للرئتين والبنكرياس وعضلات القلب .

ويزداد ضغط الدم وتبطؤ نبضات القلب ويزداد قوة عن ذى قبل ويصبح التنفس أكثر عمقاً ، كما تزداد حجم المعدة وسعتها وتصبح أكثر قدرة على هضم المواد غير السائلة ، ويستطيع التحكم – أكثر من ذى قبل – فى عضلات المثانة والمستقيم وتصبح عملية الإخراج أكثر انضباطاً . وتقل بالتدريج عدد ساعات النوم لتصل إلى ما يقرب من ١٠ ساعات فى المتوسط على نهاية هذه المرحلة بعد أن كانت فى حدود ١١ – ١٢ ساعة تقريباً خلال المهد .

النمو الحاسى :

تتحسن وظائف الأجهزة الحسية وتصبح أكثر دقة وتكاملاً خلال عملية الإدراك الحسى الأمر الذى يمكن الطفل من إدراك عالمه الداخلى والخارجى على نحو أفضل من ذى قبل . وتتطور السيطرة على الأجهزة الحسية الإدراكية بحيث يصبح أكثر اعتماداً على جهازه البصرى (هو الأكثر رقياً وتطوراً) فى عملية الإحساس الإرادى نظراً لدقة وسرعة المعلومات التى يتحصل عليها الفرد من هذا الجهاز إذا ما فورن بالأجهزة الحسية الأخرى (من المعروف أن الإنسان كائن بصرى

بطبيعته) أى يتحول الطفل بالتدريج إلى كان بصرى . كما هو الحال لدى سائر الراشدين من البشر بعد أن كان اعتماده الأكثر على اللمس والتذوق والشم كحواس بدائية بطبيعتها . كما تتطور عملية التآزر بين الأجهزة الحسية المختلفة خصوصاً الإبصار والسمح . ويتطور هذا التآزر ليشمل الأجهزة الحسية مع بعضها فى وحدة واحدة ويستطيع مطابقة ما يراه مع ما يسمعه وتحويل الملموسات والمثيرات السمعية إلى مثيرات بصرية والعكس ، ويتكامل هذا التآزر مع الأجهزة الحركية لتصبح استجابات وحركاته للمثيرات الحسية أكثر دقة وكفاءة عن ذى قبل ، الأمر الذى ينعكس تأثيره على تطور نموه الحركى

النمو الحركى :

يشهد النمو الحركى خلال هذه الفترة تطوراً غير عادى لزيادة كفاءة الجهاز العصبى والعضلى وتحسن الحواس والاعتماد المتزايد على الإبصار هذا بالإضافة إلى التكامل والتآزر المتنامى بين كافة هذه الأجهزة والحواس المختلفة ، كما أن التمدد المطرد فى بيئة الطفل واتساعها يتيح له المزيد من حرية الحركة واكتساب المهارات النفس – حركية الضرورة لانسجامه الجسمى والحركى مع معطيات هذه البيئة ، كما أن إمكانيات البيئة وثراء مثيراتها وتنوعها يساعد الطفل على اكتساب أنماط مختلفة ومتمايزة من المهارات الحركية التى تتفاوت بشكل ملحوظ من طفل لآخر وبين الجنسين باختلاف معطيات بيئة كل منهم .

وكما هو الحال فى مظاهر النمو الأخرى ، يتوقف كم ونوعية ما يمكن أن يكتسبه الطفل من مهارات حركية فى هذه المرحلة على ما يحصل عليه من مهارات أساسية فى مهده .

ففى الطفولة المبكرة تتميز حركات الطفل بالشدة وسرعة الاستجابة والتنوع بالإضافة لتخصص الحركات والمهارات ، ويساير هذا التخصص مدى سيطرته التدريجية على عضلات جسمه الكبرى ثم العضلات الصغرى ، ويستطيع خلال عامه الثالث أن ينزل ويصعد السلالم وحده ، ويكون مبنى من ٨ مكعبات ، يقف على رجل واحدة ، يقلد خطاً أفقياً ويستخدم القلم ويقلد رسم دائرة ، كما يستطيع الجرى بسرعة والاستدارة بزاوية حادة ويقف وقوفاً مفاجئاً ويمشى على أطراف أصابعه .

وفى السنة الرابعة يستطيع تقليد الرسم البسيط ويتبع ممرات الطرق المرسومة (السير فى متاهة بسيطة بالقلم) ، يقفز أثناء الجرى ، يطوى ورقة مربعة إلى مثلث ويرسم دائرة من الذاكرة ، وفى الخامسة من عمره يقلد رسم المثلث والمربع ، يربط الحذاء ويعتمد على نفسه تقريباً فى لبس معظم ملابسه ، يتحكم أكثر فى حركة القلم ويرسم بشكل بسيط الإنسان ويشرع فى تعلم الكتابة التى تتطلب مراحل متعاقبة من المهارات المتنامية والتآزرات الأكثر تعقيداً ، إذ يبدأ فى الكتابة وهو يحرك كل جسمه ثم يزاد تحكمه وتآزره فتنحصر الحركة فى اليد والصدر والرأس ... وبالتدريج والممارسة تتخصص فى قبضة اليد فقط ، لتستقر أخيراً عند أطراف الأصابع الثلاثة ويلاحظ أن هذا التطور يساير تحكمه فى العضلات الصغرى من جهة وتطور تكامل التآزر بين اليد والعينين

وتحسن المسافة البؤرية . ويظهر التعبير الحركى الكتابى على شكل خطوط غير موجهة ، ثم حروف متقطعة أى التوقف عند الانتقال من حرف لآخر فى الكلمة الواحدة ، وأخيراً يستطيع كتابة حروف الكلمة الواحدة " البسيطة " بشكل متصل أو موصل .

ويتزامن مع هذا النمو تحسن إدراكه معنى الإعداد والزمن والاتجاهات المكانية الأساسية مثل فوق وأسفل وأمام وخلف ، ويستطيع أن يحدد بشكل أفضل أماكن وأوضاع الأشياء فى نطاق علاقتها المكانية مع الأشياء الأخرى . ويقدر على تميز الأشياء بناء على أشكالها – بعد أن كان يعتمد على اللون فقط – وخصائصها الفيزيقية الأخرى . كما يمكن له إدراك المزيد من التفاصيل للأشياء بعد أن كان الإدراك الكلى للأشياء وهو الغالب دون اهتمام بالتفاصيل .

وربما ينجذب ويهتم أكثر لبعض التفاصيل الملفتة دون غيرها ، ويزداد إدراك المسافات والأطوال والأحجام والأعماق دقة . كذلك إدراك الزمن والتمييز المتزايد بين الحاضر والماضى وفهم معنى المستقبل القريب .

ويعتمد بالتدريج عند تمييزه للأشكال على ما بينها من اختلاف أكثر من اعتماده على ما بينها من تشابه ، ومع أن هذا التطور فى الإدراك الحسى لا يدخل بشكل مباشر فى النمو الحركى لأنه فى صميم النمو المعرفى ، إلا أن تأثيره مباشر فى ضبط وتطور مسيرة نموه الحركى .

النمو اللغوى والعقلى :

تمثل فترة الطفولة المبكرة أسرع فترات النمو اللغوى تحصيلاً وتعبيراً وفهماً ، نظراً لحاجة الطفل المتزايد للتعبير عن نفسه ومطالبه ومشاعره ، وفهم التعبيرات اللفظية للآخرين بما فى ذلك النواهى والأوامر ووصف الأشياء واسترجاع الماضى القريب وتصور المستقبل أو ما سيكون عليه الغد القريب . ومن مطالب النمو اللغوى فى هذه الفترة اكتساب عدد كبير من المفردات اللغوية وفهمها بوضوح وربطها مع بعضها فى جمل شبه مفيدة ، ويتضمن ذلك إدراك معنى الأفعال والتميز النسبى بين المضارع منها والماضى وحروف الجر ووظيفتها فى وصف الواقع بقدر الإمكان .

وتبلغ محصلته اللغوية فى السنة الثالثة ما بين ٨٠٠ – ٩٠٠ كلمة فى المتوسط ، ويعرف صفات الكثير من الأشياء ومعنى المفرد والجمع ، وتتزايد عدد كلماته فى عامه الرابع ما بين ١٤٥٠ – ١٥٠٠ كلمة فى المتوسط ، مع التمييز النسبى بين المذكر والمؤنث ، والقدرة على تكوين جمل بسيطة شبه مفيدة يستطيع بواسطتها التواصل وتبادل الحديث مع والديه وأقرانه ، وفى الإجابة على الأسئلة التى تتطلب إدراك بعض العلاقات البسيطة ، وتزداد محصلته اللغوية ما بين ١٧٥٠ – ١٨٥٠ كلمة فى المتوسط بنهاية عامه الخامس ، مع القدرة على تكوين جمل طويلة ومفيدة نسبياً ، وربما يختلف هذا النمو اللغوى إذا قدر للطفل أن يلتحق بدور الحضانة أو رياض الأطفال وتحصل على قدر مناسب من المعلومات والمقررات الأولية خصوصاً مبادئ القراءة والكتابة والحساب والعلوم ، كما يتيح له هذا الاختلاف فرص ممارسة محصلته اللغوية وتحسينها وتطويرها حيث يحفزه مثل هذا الموقف المدرسى على

النمو المبكر لكافة جوانبه المعرفية بما فى ذلك اللغة ، ويزداد فهمه للمعانى والأرقام والتوقيت ، ويطرأ تحسناً ملحوظاً فى النطق خصوصاً ما يتعلق بالعيوب النمائية فى نطق الحروف الحلقية والأنفية والسنية ، لكن يظل الإبدال واللثغة " التهتهة " ملازمة للكثير من الأطفال حتى ما بعد هذه المرحلة .

ويمكن تسمية هذه المرحلة – من ناحية النمو العقلى – بمرحلة " السؤال " ، إن سؤال " ماذا " دائماً على شفتيه . إذ يكثر من الأسئلة عن الأشياء التى حوله ، ومن المعلوم أن الاستفسار أو طرح السؤال يعكس نشاط عقلى ، وعمليات تفكير داخلية نشطة يتفاوت تعقيدها ورقيها بعمق السؤال ونوعه ، إن السؤال يعكس رغبة الطفل فى المعرفة وحب الاستطلاع واكتساب الخبرة ، ويستطيع أن يكون مفاهيم شبه مجردة عن الزمن والمكان والاتساع والعدد (حتى رقم ٥ فى عمر الرابعة وحتى رقم ١٠ فى عمر الخامسة وحتى رقم ٢٠ فى عمر السادسة) . وتسعفه محصلته اللغوية المتنامية فى توسيع دائرة معارفه واكتساب المهارات والقدرات الخاصة بالتحصيل .

ويطرد نمو الذكاء بسرعة تفوق كثيراً سرعة النمو الجسمى والحركى كما تفوق أيضاً سرعة نموه فى المرحلة التالية (لاحظ أن نسبة الذكاء ثابتة نسبياً كما أوضحنا عن الحديث عن السرعة الجزئية) ، إلا أن قدرته على التركيز والانتباه تظل محدودة ، فهو لا يستطيع أن يركز على أكثر من مثير فى نفس الوقت ولفترة قصيرة وتظل قابليته للتشتت وتحول الانتباه من موضوع إلى آخر والخلط بين الواقع والخيال من المعالم المميزة لهذه المرحلة . وتتحسن قدرته

على التذكرة المباشر ويتسع مداها خصوصاً مع الاستخدام الكفؤ للغة ، كما تتحسن بالتدريج قدرته على التذكر غير المباشر أو المرجأ خصوصاً على نهاية هذه المرحلة ، ويستطيع التعرف على ألعابه وتذكر ما يغيب منها عنه والتعرف على منزله وممتلكاته الشخصية وأهله وأصدقائه .

ويظهر التخيل فى أشكال اللعب الإيهام والقصص الخرافية التى يصنعها من خياله ، ويتداخل الواقع مع الخيال على نحو يصعب الفصل بينهما ، وأحياناً يطغى خياله على الواقع ، ويتجلى ذلك فى حديثه مع لعبه وخلع صفة الحياة على الكثير من الأشياء الجامدة فى محيط أسرته ويطلب منها الإجابة ويعاملها كما لو كانت كائنات إنسانية فى مثل سنه .

ويندرج النمو المعرفى للطفل فى هذه المرحلة تحت ما يعرف باسم العمليات العيانية وفق تقسيم " بياجيه " لمراحل النمو المعرفى . وعنده أنه تتكون من ثلاث مراحل فرعية الأولى تعرف بمرحلة ما قبل المفاهيم أو التصور الذهنى السابق وتمتد من السنة الثانية إلى الرابعة ، حيث يكون شكل الذكاء فيها تمثيلى ، والثانية بمرحلة " التفكير الحدسى " التى تمتد من الرابعة إلى السابعة ويكون شكل الذكاء فيها حسياً ، والثالثة تعرف بمرحلة العمليات والإجراءات الحسية ، وسوف نناقش خصائص هاتين المرحلتين تفصيلاً فى الفصل القادم .

النمو الانفعالى :

تتسم الطفولة المبكرة بتمايز الانفعالات والتعبير عنها بالشكل الاجتماعى الذى يتناسب مع هذا العمر ، إن الانفعالات لم تعد مجرد تعبيرات ذاتية خالصة ، أنها تأخذ لأول مرة شكل اجتماعى وفق ما

هـو متعـارف عليـه فـى أسـرة الطفـل وبيئتـه المحـدودة ، كمـا تحـل بالتـدريج الاسـتجابة اللفظيـة الانفعاليـة محـل الاسـتجابات الجسـمية ، فبدلاً من التوتر الجسمى والتهيج العام والتشنج وما يصاحب ذلك من تغيـرات فسـيولوجية تظهـر الاسـتجابات الانفعاليـة اللفظيـة علـى شـكل أَوات ثـم كلمـات غيـر محـددة فكلمـات محـددة ، كمـا تظهـر الاسـتجابات الانفعاليـة المـؤثرة فـى البيئـة مثـل اسـتجابة الاعتـذار والارتيـاح والرغبـة والكـره والأسـف والغضـب والتمـرد وعـدم المبـالاة ويقـل البكـاء بالتـدريج كأسلوب للتعبير عن الخوف والقلق أو الإحباط والشعور بعدم الأمن . ومـع أن الانفعـالات فـى هـذه المرحلـة تـتخلص بالتـدريج مـن تناقضـاتها وتـدفقها وإيقاعهـا السـريع ، إلا أنهـا مـا برحـت شـديدة ومبالغـاً فيهـا ، فعنـدما يغضـب الصـغير يكـون غضـبه شـديداً وعنـدما يعبـر عـن حبـه يكـون تعبيره فياضـاً متأججـاً ، ويظل أيضـاً لديـه القابليـة للتحـول السـريع مـن انفعـال لآخـر ربمـا يكـون نقيضـاً لـه ، بيـد أن هـذه الظـاهرة تأخـذ فـى الانحسـار التـدريجى خـلال المرحلـة التاليـة وتظـل انفعالاتـه متمركـزة حـول ذاتـه ، أى منسـوبة ونابعـة مـن ذاتـه دائمـاً وليسـت نابعـة مـن الموقـف نفسـه ، مثـل الشـعور بالخجـل والـذنب والـنقص ولـوم الـذات وعـدم الثقـة فيهـا ، ويـزداد أو يقـل شـعوره بـالخوف بقـدر مـا يشـعر بـه مـن أمـن ومـا تحققـه لـه بيئتـه – خصوصـاً أسـرته – من توقعات واستقرار فى علاقاته الاجتماعية بأفرادها خصوصاً الوالدين .

صـحيح أن هـذه المرحلـة تتميـز بالهـدوء والخلـو النسـبى مـن الخضـات والتعبيـرات المفاجئـة كمـا حـدث فـى مواقـف الفطـام والتسـنين والتدريب على ضبط الإخراج وتعلم المشى إلا أن أول مطالبها هى تدعيم

الإنجازات السابقة وتنميتها خصوصاً ما يتعلق بالاستقلال النسبى عن الوالدين وبداية الاعتماد على الذات وتأكيد الشعور بالأمن والثقة الأساسية فى بيئته والعالم المحيط به ، وإن لم تدعم هذه الإنجازات فهناك احتمال للارتداد والنكوص إلى العادات الطفولية السابقة ، وهذه المهمة لا تقل فى خطورتها عن مهام المرحلة السابقة ، إذ لم يكن الفطام والتدريب على الضبط والنظام وغيرها من مهام مطلوبة فى حد ذاتها ، إنما القصد منها هو التخلى عن السلوك الطفولى وتمثل معايير سلوك الاستقلال والاعتماد على النفس والثقة الأساسية وبقدر استيعابه لما هو مقصود من التدريبات السابقة وبقدر تمثله للدلالات والمعايير التى تتضمنها يكون مسار واتجاه نمو شخصيته بعد ذلك .

ويلاحظ ازدياد مثيرات الخوف عدداً ونوعاً عن ذى قبل نظراً لاتساع بيئته وتنوع المثيرات التى يتعامل معها ويستجيب لها ، فتظهر انفعالات الخوف من مثيرات لم يكن يخاف منها قبل ذلك مثل بعض الحيوانات والأشباح ، وربما يبدى خوفه من الظلام والوحدة ووجوده بين عدد كبير من الناس لم يألفهم ، والأهم من ذلك خوفه من غياب والديه أو أحد أفراد أسرته ، وتوجد علاقة بين مخاوف الوالدين – خصوصاً الأم – ومخاوف أطفالهن نظراً بقابليتهم الشديدة للاستهواء أو العدوى الانفعالية خلال هذه المرحلة . وعادة ما يصاحب ثورات الغضب احتجاجاً أو الأخذ بالثأر ، ودائماً ما يعبر بكلمة " لا " عن معظم استجاباته وكأنه بذلك يؤكد تمايزه واستقلاله عن الآخرين ، وبأنه يستطيع الرفض والنفى والإلغاء ، وكأن كلمة " لا " تعبيراً عن ذاته الجديدة المتنامية .

دور الأسرة والتنشئة الاجتماعية فى النمو الاجتماعى :

ينظر إلى الأسرة ، بصفتها المجال الحيوى للنمو النفسى للطفل فى هذه المرحلة ، على أنها نسق دينامى يتغير مع تعاقب مراحل نموه ، فالأسرة عندما ترزق بطفلها الأول لم تكن كما كانت عند بداية تكوينها ، ولن تكون كذلك عندما يصل صغيرها إلى مرحلة ما قبل المدرسة وهكذا ، ويقصد " بالنسق " مجموعة الأشياء التى ترتبط فيما بينها بعلاقات متبادلة وفق الخصائص المميزة لهذه الأشياء مثل علاقات الزوج والزوجة قبل الإنجاب ، وعلاقتهما بعد الطفل الأول والثانى ، فإذا ما تغيرت هذه الأشياء أو خصائص تتغير تلقائياً العلاقات المتبادلة بينهما ومن ثم يتغير النسق ككل ، بعبارة أخرى يؤدى وجود أعضاء جدد فى الأسرة أو تغير خصائص بعض أعضائها مثل كبر سن الأبناء واستقلالهم النسبى عن آبائهم إلى تغير نمط العلاقات المتبادلة بينهم جميعاً ، أتى تغير البنائى الاجتماعى للأسرة ككل ، ويتضمن النسق الأسرى عدة مكونات لعل من أهمها :

- السلطة الوالدية التى يملكها الآباء لأنهم مصدر الثواب والعقاب ، وعادة ما يحدث تغيرات فى إدراك الأبناء لمعنى وصلاحيات هذه السلطة بتقدمهم فى العمر واتساع آفاق تعاملهم مع الآخرين ، وربما يحدث تغير حقيقى فى طبيعة السلطة الوالدية وما تستخدمه من أساليب نتيجة لكبر سن الوالدين أو غياب أحدهما والاستفادة من الخبرات السابقة فى التربية وتغير اتجاهاتهما .
- الأساليب الوالدية الخاصة بمعاملة الأبناء وما يحكمها من قيم وأهداف وفلسفة عامة (سواء وعى بها الآباء أو لم يعوا) ،

وتختلف هذه الأساليب باختلاف مواقف التنشئة الاجتماعية كما تبين عند مناقشة الفطام والتدريب على ضبط الإخراج ، وتختلف أيضاً باختلاف جنسى الطفل وعمره وشخصيته ، إن العبرة فى روح هذه الأساليب وتحقيقها لأهدافها السياسية بصرف النظر عن شكلها .

- القدوة والنموذج : إذ يظل الآباء بالنسبة لأبنائهم قدوة لسلوكهم ونماذج للمحاكاة والتوحد وإن اختلف الأبناء فى نظرتهم إلى هذه القدوة وتمسكهم بها بتقدمهم فى العمر ، كأن يظلوا بمثابة الأطر المرجعية لسلوكهم ومصدر أساسى للمعايير الاجتماعية خصوصاً فى المراحل الأولى من نمو الطفل ، وينطبق ذلك بصفة خاصة على مراحل الطفولة الأولى .
- الضبط والتوقعات : إن غاية ما يسعى إليه الطفل هو أن يكون عند حسن ظن والديه به ، وأن يفعل ما يعتقد أنه متوقع منه سواء فى وجودهما أو غيابهما (مفهوم الضمير) ، ومما يحفز الطفل على أن يكون كذلك قدر ما يشعر به من حب متبادل معهما وقدر تقبله منهما ، إنها أقرب ما تكون " بالمقاصة المالية " فبقدر ما يمنح الآباء أطفالهم من حب ويشعرونهم بالتقبل ، بقدر ما يكون الأبناء طوع بنانهم وحرصهم على أن يكونوا عند حسن ظنهم بهم ، يضاف إلى ذلك التوقع المتبادل بين الأبناء والآباء ودوره فى ضبط السلوك ، فعندما يتوقع الآباء من أبنائهم مسلكاً وتصرفات محددة ويطالبونهم بذلك

فإن هذا التوقع لا يصدق إلا إذا صدق توقعات الأبناء من آبائهم .

وهكذا يتبين من هذا العرض أن الأسرة مجال حيوى بالغ التأثير فى النمو النفسى والاجتماعى للطفل ، والذى يبلغ ذروته خلال هذه المرحلة وإن كان يقل تأثيره بالتدريج كلما تقدم الصغير فى السن واتسعت دائرة معاملاته مع الآخرين ، وتتشكل الشخصية الأساسية للطفل خلال السنوات الست أو السبع الأولى مكن عمره بناء على هذا التأثير المبكر للوالدين وأساليب تنشئتهما الاجتماعية .

وتأخذ جماعة الرفاق فى منافسة الأسرة فى مجالها الحيوى على مطلع هذه المرحلة ، إذ بحكم الاستقلال النسبى للطفل عن والديه وتعلمه المشى ورغبته فى اكتشاف معالم بيئته ، يجد فى أنداده من الأطفال الآخرين مجالاً جديداً ورحباً للتفاعل واللعب والمشاركة الاجتماعية دون رقابة صارمة من الوالدين ودون قواعد ونظام مقيد لحريته وتلقائيته ، بيد أن جماعة الرفاق فى هذه المرحلة العمرية المبكرة تكاد أن تقتصر وظيفتها عند الطفل على اللعب فى هذه المرحلة العمرية المبكرة تكاد أن تقتصر وظيفتها عند الطفل على اللعب فى بيئته (داخل منزله) أو فى مجال محايد (الحضانة ، النادى ، الشارع ، الجيران) يكتسب باستمرار جاذبية خاصة بالنسبة له ، وسوف نناقش تفصيلاً فى مرحلة الطفولة الوسطى والمتأخرة الدور المتعاظم لهذه الجماعة ومنافستها للأسرة فى توجيه سلوك الطفل .

لقد أوضحنا فى الفصل السابق أهم مواقف التنشئة الاجتماعية التى تقابل الطفل فى مرحلة المهد وما توصلنا إليه من نتائج فى البيئة

المصرية ، وعلينا أن نناقش الآن أهم الموقف التى تواجه الطفل فى هذه المرحلة .

١ – مواقف التدريب على النظام :

بلغ متوسط العمر الذى يتقن فيه أطفال الحضر كل العمليات المتعلقة بالتدريب على النظام ٥.٤ سنة تقريباً (٥.٧١ فى الطبقة الدنيا مقابل ٥.٠٣ سنة فى الطبقة المتوسط والعليا) بينما لا يوجد تحديد قاطع لهذا السن فى الريف ، ويمكن القول بأن ملامح الشخصية الاجتماعية للطفل المصرى تزهر بوضوح خلال العام الخامس من عمره وإن كانت تبكر فى الظهور كلما ارتفع المستوى الاقتصادى والاجتماعى لأسرته ، أما فى الريف فإن الوعى بظهور هذه الملامح كما يقرره الوالدان يكاد أن يكون غير محدد ، وترجع أهمية هذا السن إلى أنه مؤشر مناسب للنضج الاجتماعى للطفل المصرى (فى الحضر) ولتمثله المعايير الاجتماعية للسلوك ، وتفيد ما توصلنا إليه من نتائج أن الأساليب الإيجابية المبكرة لتدريب الطفل على هذه المواقف يرتبط بمعامل موجب دال قدره ٠.٤٥ بسمة التوافق الاجتماعى للطفل ، كما يرتبط أيضاً بسمة التحرر من الميول العدوانية المضادة للمجتمع بمعامل موجب دال قدره ٠.٣٣ وهذه السمة ضرورية أيضاً للتوافق الاجتماعى للطفل ، لأنها تتضمن امتثاله أو مسايرته للمعايير التى وضعها المجتمع ولا يتأتى هذا الامتثال إلا إذا تدرب الطفل مبكراً وبالأساليب المناسبة على تشرب هذه المعايير .

٢ – التدريب على ضبط السلوك فى مواقف العدوان :

عدوان الأطفال ظاهرة نمائية عامة تعكس حيوية الطفل ورغبته فى مواجهة ما يقف فى سبيل تحقيق حاجاته ، كما أنه رد فعل طبيعى لأى إحباط يواجهه فى حياته اليومية سواء داخل الأسرة أو خارجها ، وما أكثر مواقف الإحباط التى يواجهها الطفل خصوصاً عندما يكون فى مرحلة اكتساب معايير السلوك الصحيح والخطأ والصواب ، إذ على الوالدين تدريب الطفل كيف يتصرف حيال هذه المواقف وكيف يكبح عدوانه ويحول طاقاته إلى أساليب تعبيرية يقبلها المجتمع ، إن التدريب على مواقف العدوان لا يهدف إلى اقتلاع العدوان من شخصية الطفل ، لأنه ضرورى جداً – كطاقة حيوية تعين على تحدى الصعاب ومواجهة الاحباطات – لتوافق الطفل مع نفسه والآخرين ، إنما يهدف إلى توجيه العدوان وتعديل أسلوبه وطابعه الفطرى إلى أسلوب اجتماعى مقبول .

ويبدو أن الأسلوب الشائع فى الحضر على تدريب الطفل فى المواقف التى يبدى فيها عدوناً هو العقاب بأنواعه المختلفة سواء البدنى أو اللفظى أو الحرمان من الامتيازات والمكافآت ، ويمثل هذا الأسلوب ٣٦٪ تقريباً من مجموع الأمهات فى عينة الدراسة (٤٤٪ من الطبقة الدنيا مقابل ٢٩٪ فى الطبقة المتوسطة والعليا) ، ثم أسلوب النصح والإرشاد والحث على الهدوء وضبط النفس ويمثل ٣٥٪ (٢٤٪ فى الطبقة الدنيا مقابل ٤٩٪ فقى الطبقة العليا والمتوسطة) يلى ذلك أسلوب الزجر والتأنيب ١٨٪ (٢٤٪ فى الطبقة الدنيا مقابل ١٠٪ فى الطبقة المتوسط والعليا) وتمثل النسب الباقية أساليب مختلفة مثل تجاهل العدوان وترك الطفل على حريته ، يختلف الأمر فى الريف ، إذ يطغى أسلوب العقاب البدنى كأسلوب

شائع ، يلى ذلك الزجر والتأنيب ، ويأتى فى المرتبة الأخيرة أسلوب النصح الإرشاد والتعويد على ضبط النفس ، إن الأم الريفية بالغة التشدد مع أطفالها إزاء مواقف العدوان ، لكن الاتجاه الغالب على معظم الأمهات والآباء فى مصر هو عدم تحبيذ العدوان مهما كان شكله الاجتماعى وحث الطفل على ضبط نفسه والتسامح والسلام حتى وإن كان مظلوماً ، إن قيمة " الطيبة " هى التى تدفع الآباء للتشدد مع أطفالهم فى مواقف العدوان حتى وإن كان ذلك فى غير مصلحة الطفل وعلى حساب بعض حقوقه ، وكثيراً ما يعبر الآباء – صراحة – بأنه لا يقبلون أبداً أن يكونوا أبناؤهم عدوانيين أو ظالمين ، ويتمنون أن يكونوا مسالمين " طيبين " حتى وإن اقتضى ذلك التغاضى عن بعض الحقوق !! .

وتفيد النتائج التى توصلنا إليها أن تشدد الوالدين فى تدريب الطفل على ضبط العدوان وحرامانه من التنفيس عن مشاعر الإحباط والظلم يرتبط ارتباطاً سلبياً بالكثير من سمات شخصية الطفل ، بينما يرتبط تسامح الوالدين إزاء عدوان الطفل وتفهمهما لدوافعه وإتاحة فرص التنفيس والتعبير عن الإحباط ورد المعتدى ، يرتبط ارتباطاً موجباً دالاً بسمة الاكتفاء الذاتى والثقة بالنفس بمعامل كبير قدره ٠.٦٢ مما ينعى أن هذا التسامح والحث على رد العدوان يقوى من استقلال الطفل ويدفعه للثقة بنفسه ومواجهة المشاكل بروح التحدى ، دون أن يكون ذلك على حساب " الطيبة " التى ينشدها الوالدان أو على حساب أن يعيش فى سلام ووئام مع الآخرين طالما أن الآخرين كذلك .

كما يرتبط هذا التسامح مع سمة التحرر من القلق بمعامل قدره ٠.٤٩ مما يعنى أن التشدد مع الطفل فى كبح عدوانه ودفعه للاستسلام من شأنه أن يستثير فى نفسه القلق والخوف والتردد ، وبديهى أن شعور الطفل بأن ما يقع عليه من عدوان لا يستطيع درءه أو حتى مواجهته يمثل أقصى درجات القلق من المجهول ، وهكذا بالنسبة لسمة التحرر من الميول المضادة للمجتمع ٠.٥٤ والموضوعية ٠.٤٤ والمبادأة ٠.٤٤ وغيرها من السمات .

إن تسامح الآباء مع أبنائهم فى مواقف العدوان وحثهم على رد العدوان بالمثل والظهور بمظهر المدافع عن حقوقه مهما كلفه ذلك من أمر ، من شأنه أن ينمى شخصياتهم على نحو إيجابى ويساعدهم على التوافق واكتساب القدرة على مواجهة المواقف المشكلة والاعتماد على أنفسهم فى حلها ، بينما يؤدى التشدد وكبح التعبير عن العدوان والحث على المسألة حتى وإن كان ذلك على حساب التنازل عن بعض الحقوق ، يؤدى إلى استثارة القلق والتبعية والاعتماد على الآخرين وضعف الثقة فى الذات والسلبية والخنوع ، وهذه السمات السلبية تظهر شكل أوضح على أطفالنا فى الريف .

الفصل الخامس
الطفولة الوسطى والمتأخرة (٦ ــ ١٢ سنة تقريباً)

الفصل الخامس
الطفولة الوسطى والمتأخرة (٦ – ١٢ سنة تقريباً)

تتميز فترة الطفولة الوسطى والمتأخرة باستغراقها لمعظم سنوات الطفولة ، والبطء النسبى فى السرعة العامة للنمو ، خصوصاً النمو الجسمى والفسيولوجى ، كما يتعاظم دور البيئة الخارجية ويتسع مداها لتشمل المدرسة وجماعات الرفاق واللعب والمنطقة السكنية وتأثير وسائل الاتصال الجمعى خصوصاً التليفزيون والراديو والصحف ويتراجع بالتدريج دور الأسرة والوالدين كمصدر لضبط السلوك وتعديله ، إن عالم الطفولة الوسطى والمتأخرة أكثر اتساعاً وامتداداً من العالم الصغير والمحدود للطفولة المبكرة والمهد الذى يكاد أن يقتصر على الأسرة فقط ، ويختلف الطفل فى هذه الفترة عما كان عليه قبل ذلك فى مظاهر كثيرة من نموه النفسى لعل أبرزها ما يلى :

١- شروعه فى أداء أدواره ومهامه الاجتماعية والمدرسية بجدية أكثر مما كان عليه فى مرحلة ما قبل المدرسة ، لقد كان اللعب وتقليد الأدوار هو الغالب فى المرحلة السابقة حيث يختلط الواقع بالخيال ، أما الآن فإن الواقع يفرض نفسه فى المدرسة حيث المقررات والواجبات والامتحانات ، ومع الرفاق حيث الالتزام بقواعد وأصول اللعب والمباريات والأنشطة المختلفة .. وهكذا .

٢- تنامى الشعور بالأهلية *Competence* وإرهاصات قبول التحدى والمنافسة والتقييم الموضوعى للذات على أساس حجم إنجازاته وقدر نجاحه فى تحمله للمسئولية ، وأصبح يهمه فى المقام الأول

رأى الآخرين فيه وتقييمهم له بصرف النظر عن رأيه هو أو رأى والديه الذى لا يخلو من مجاملة وتعضيد .

٣- السعى لتعلم المهارات الجديدة وفق ما يفرضه الاتساع المستمر لبيئاته الجديدة ، خصوصاً المهارات المدرسية والرياضية والهوايات والمناظرات الاجتماعية والشخصية ، لقد شرع فى إدراك أهمية التعلم كوسيلة فعالة للتعامل مع هذه البيئات الجديدة والتحكم فيها .

٤- التحول السريع من التمركز حول الذات إلى الانفتاح على البيئات الجديدة ، والانتقال من عالم الخبرة الملموسة أو العيانية إلى آفاق استطلاع المستقبل القريب وإدراك الماضى واستيعاب ما يتضمنه من خبرات والاستفادة منها .

النمو الجسمى والفسيولوجى :

يغلب على هذه الفترة بطء النمو الجسمى والفسيولوجى عن المرحلة السابقة ، إذ تأخذ نسب نمو الجذع والرأس والأطراف فى الاعتدال لتقترب من نظيرها عند الراشد ، ويصل إجمالى الزيادة فى الطول حتى نهاية الطفولة الوسطى إلى ما يقرب من ربع طوله فى المرحلة السابقة . وتستقر الزيادة عند ٥ سم سنوياً فى المتوسط خلال سنوات الطفولة المتأخرة ، بمعنى أن متوسط طول الذكور يبلغ ١١٠.٧ سم تقريباً عند سن ست سنوات ، ١٢٣ سم تقريباً عند عمر ٨ سنوات ، ١٣١ سم تقريباً عند عمر ١٠ سنوات ، ١٤٠ سم تقريباً عند عمر ١٢ سنة ، يقابل ذلك عند الإناث ١١٠ سم ، ١٢٣ سم ، ١٣١ سم ، ١٤١.٥ سم تقريباً وعلى التوالى ، أى أن الإناث يتفوقن على الذكور

فى الطول بما يقرب من ١ سم إلى ١.٥ سم فى المتوسط خلال سنوات هذه الفترة ، وهكذا بالنسبة للوزن حيث يبلغ متوسط أوزان الذكور فى سن ٦ سنوات ١٩.٣ كجم ، وفى سن ٨ سنوات ٢٤ كجم ، وفى سن ١٠ سنوات ٢٧.٤ كجم ، وفى سن ١٢ سنة ٣٢ كجم تقريباً ، يقابل ذلك عند الإناث ١٨.٨ كجم ، ٢٤.٧ كجم ، ٢٧.٨ كجم ، ٣٤.١ كجم على التوالى .

ويلاحظ اطراد وزن المخ ليصل فى نهاية الطفولة المتأخرة إلى ٥٪ من نظيره عند الراشد ويصبح التنفس أكثر عمقاً وأبطأ عن ذى قبل وهكذا بالنسبة لضربات القلب التى تقل بالتدريج حتى تقترب من نظيرها عند الراشد ، ويزداد بالتدريج ضغط الدم ، وتقل عدد ساعات النوم لتستقر عند ١٠ ساعات يومياً فى الطفولة الوسطى ثم ٩ ساعات فى الطفولة المتأخرة ، كما تتوافق عدد ساعات النوم مع إيقاع فترات اليقظة والنوم السائدة فى الأسرة ، يطرد ازدياد حجم المعدة وتقوى على هضم كافة أنواع الغذاء ، كما تتسع الرئتين ويزداد القلب قوة وحجماً ، وتأخذ نشاط بعض الغدد فى التوقف التدريجى خصوصاً الصنوبرية والتيموسية .

النمو الحسى والحركى :

يطرد نمو الإدراك الحسى فى هذه الفترة وتستكمل معظم عمليات التآزر العليا بين الحواس وبعضها من جهة وبينها وأجهزة الحركة خصوصاً العضلات الصغرى من جهة أخرى ، وتختفى بالتدريج ظاهرة طول النظر الشائعة بين غالبية أطفال ما قبل المدرسة الابتدائية بتحسن المسافة البؤرية ، ويزداد التوافق البصرى – يدوى

بحيث يتمكن الطفل من معالجة معظم الأشياء الدقيقة جداً بأطراف أصابعه على مستوى جيد منن الأداء مثل فك وتجميع اللعب الصغيرة " الميكانو " ، كما يستطيع أن يميز بسهولة بين الألوان المختلفة والدرجات المتشابهة للون الواحد الغامق والفاتح بما فى ذلك الرماديات كما يتحسن إدراكه للحروف والأرقام ويصبح أكثر تحكماً فى الكتابة والرسم عن ذى قبل ، وتظهر بوضوح الفروق الفردية فى الكتابة والتى تعكس الأسلوب المميز لكل طفل .

يدرك الزمن والتوقيت على نحو أفضل ويميز بدقة بين الحاضر والماضى والمستقبل القريب ، ويستوعب معنى الماضى والتاريخ ، ولكن لا يقوى على إدراك المستقبل البعيد ومعنى التخطيط ، يدرك أيام الأسبوع وفصول السنة وتعاقبها ، كما يعرف تسلسل أشهر السنة وتاريخ ميلاده وتوقيت بعض المناسبات الوطنية والشخصية ، ويتطور إدراكه للوزن وتتحسن عتباته الفارقة الحسية للتمييز بين الأوزان بصرف النظر عن حجمها وأشكالها ، ويكتشف أهمية العمق أو البعد الثالث والفراغ ويمكن أن يعرب عنه بالرسم الهندسى مثل المكعبات ومتوازى المستطيلات ، وهكذا بالنسبة لإدراك المسافات والمساحات والأحجام وحسن تقديره النسبى للأطوال والأبعاد ويستخدم بشكل أفضل الاتجاهات المكانية الأربعة ويستدل عليها بمعرفته لأى منها ويفهم معنى اليمين واليسار وغير ذلك من إشارات التوجيه المكانى .

ويعتمد النمو الحركى فى هذه الفترة على ما سبق تحصيله فى مرحلة ما قبل المدرسة ، وربما يصادف صعوبات كبيرة فى تعلم المهارات الحركية لأكثر دقة وصعوبة إذا كمان اكتسابه المهارات الأساسية غير كاف أو غير مناسب ، ذلك أن النمو الحركى تراكمى بطبيعته تحكمه قوانين عصبية وميكانيكية محددة ، ويغذيه نمو حاسى متكامل ونمو معرفى متجانس ، فإذا فشل الطفل فى اكتساب مهارة التآزر بين اليدين والقدمين والعينين كما هو الحال فى قيادة الدراجة مثلاً ، فربما يصعب عليه تعلم المهارات الخاصة بالألعاب المعقدة مثل كرة السلة أو حتى السباحة ، وتزداد القوة العضلية للطفل لتصل قرب نهاية الطفولة إلى ضعف ما كانت عليه فى سن (٥- ٦ سنوات) ، وهكذا بالنسبة لزمن رد الفعل وتحمل التعب والإجهاد ومقاومة الإحساس بالملل ، وتتحسن قدرته على الكتابة والتحكم فى القلم ووضح الكلمات والتعبيرات الحركية الكتابية ، ونظراً لاستقرار سرعة النمو الجسمى والفسيولوجى خلال هذه الفترة الطويلة واستقرار النسب بين أعضاء الجسم وزيادة كفاءة القلب والدورة الدموية وخفة وزن الجسم ، يستطيع الطفل أن يتعلم أى نوع من المهارات الحركية مهما بلغ مستوى تعقيدها وصعوبتها إذا كانت إمكانيات البيئة تسمح بذلك فيستطيع تعلم المهارات الحركية المتعلقة بالرياضة والفنون الموسيقية والغناء والحركات الإيقاعية ، ومعالجة الأشياء الميكانيكية وكل ما يتعلق بالحرف الدقيقة وما إلى ذلك ، باختصار تمثل هذه الفترة العصر الذهبى لتنمية المهارات الحركية بكافة أنواعها ، وإذا فشلت البيئة أو كانت إمكانياتها قاصرة على تحقيق ذلك (البرامج العملية فى المدرسة جماعة الهوايات – نوادى العلوم – اللعب ....)

يضيع على المجتمع فرص تكوين كوادر جديدة من الرياضيين والفنانين والحرفيين على مستوى رفيع من الإعداد .

النمو اللغوى والمعرفى :

يلتحق الطفل بالمدرسة الابتدائية بمحصلة لغوية (٢٤٠٠ – ٢٥٠٠ كلمة) تعينه على الفهم والاستفسار عما استغلق عليه والتعبير اللفظى المعقول عن فهمه لما حصله ، وتعينه المدرسة على تعلم المهارات اللغوية وتخطى صعوبات التخاطب وتعلم القراءة والكتابة ، ويستغرق إتقان هذه المهارات معظم السنوات الأولى من التعليم الابتدائى . وتكون المهمة صعبة على المدرسة إذا لم يكن الطفل قد تلقى المبادئ الأولى فى دور الحضانة أو رياض الأطفال تتضح كفاءة المدرسة وأسلوب التدريس ووضع المقررات الدراسية فى اختصار هذه الفترة بقدر الإمكان ، وربما يعزى فشل الطفل فى تعلم القراءة والكتابة إلى قصور بعض هذه العناصر أو كلها أكثر من ضعف قدرته على التحصيل ما لم يكن الطفل متخلفاً عقلياً (نسبة ذكائه أقل من ٧٠٪) ولم يكتشف هذا التخلف إلا عند التحاقه بالمدرسة ، لحسن الحظ أن نسبة هؤلاء الأطفال فى المجتمع المصرى لا تتجاوز ٣٪ من مجموع الأطفال ، وإن كانت ترتفع قليلاً فى الريف عنها فى الحضر ، وفى المناطق والأحياء السكنية الفقيرة عنها فى الأحياء المتوسط ، ومع ذلك يمكن لهؤلاء الأطفال المتخلفين عقلياً (ممن تتراوح نسب ذكائهم بين ٥٥ – وأقل من ٧٠ ، وهم يمثلون الغالبية العظمى من المتخلفين عقلياً أن يتعلموا القراءة والكتابة بسرعة أقل من أندادهم العاديين إذا توفرت لهم الظروف المناسبة من الرعاية المدرسية .

وتتميز هذه الفترة باستخدام الجمل المركبة الطويلة والقدرة على نقل التعبير الشفوى إلى تعبير كتابى خصوصاً عندا يتقن مهارات الكتابة وتحسن قدرته على القراءة والحوار ، كما يتجاوز اهتمام الطفل بالصور والرسوم إلى معنى الكلمات المعبرة عن ذلك بما فى ذلك الحروف والرموز ، وتتضاعف محصلة الطفل اللغوية خلال الطفولة المتأخرة (السنوات الأخيرة من التعليم الابتدائى) ، ويتجه إلى فهم الألفاظ المجردة ودلالات الكلمات بما فى ذلك التعرف على وجهات النظر المختلفة حول الموضوع الواحد ومحاولة فهمها وأخذها فى الاعتبار .

وهذا الاتجاه يسير مع تحول الطفل فى هذه السنوات من الواقع إلى الممكن والمحتمل والافتراضات كما يستوعب بالتدريج معنى القواعد اللغوية والإعراب بعد أن كان يحفظها بشكل روتينى ، وتظهر الضمائر فى المحادثة والكتابة بشكلها الصحيح .

لقد سبق التأكيد على العلاقة المتبادلة بين النمو اللغوى والعقلى إذ يمكن اعتبار الإنجازات اللغوية السابقة كمظهر أصيل من مظاهر النمو العقلى أو المعرفى ، فالطفل الذى يظهر تفوقه اللغوى يكون عادة متفوقاً فى تحصيله للحساب والعلوم والمواد الاجتماعية ، ويعكس مستوى تحصيل الطفل – فى الظروف العادية والمعقولة للمدرسة – ما هو عليه من ذكاء ، ذلك أن التحصيل الدراسى وظيفة لكافة العمليات العقلية المختلفة من انتباه وتركيز وسرعة إدراك وتذكر وسرعة تعلم واستدلال وتفكير وغيرها من القدرات التى يتكون منها الذكاء فى هذه المرحلة ، ويظل الذكاء عاماً وكتلياً ، لا تتمايز فيه القدرات العقلية بوضوح إلى عوامل طائفية أو مستقلة ، بعبارة أخرى يظهر الذكاء ككل

أو كعامل عام مع مجموعتين من العوامل الطائفية الكبرى : تعريف الأولى بالعامل اللفظى الطائفى ، والثانية بالعامل العملى أو المكانى الطائفى ، ويستمر اضطراد الذكاء بعامليه الطائفين الكبيرين (لاحظ ثبات نسبة الذكاء) بسرعة نسبية أقل من المرحلة السابقة ، وتزداد القدرة على التركيز والانتباه لفترة أطول ولأكثر من مثير فى نفس الوقت ، كما يتحسن مدى الذاكرة وتأخذ فى التخصص بوضوح أكثر ، ويتعاظم ظهور الذاكرة المرجأة والقدرة على استرجاع ما تذكره . ويرجع الفصل فى ذلك إلى أسلوب التحصيل الرسمى المنظم الذى يعتمد على الحفظ والاسترجاع ، وربما يكون ذلك على حساب تنمية القدرة على الفهم والاستدلال .

وينحو تفكير الطفل بالتدريج إلى التجريد النسبى ، حيث المرحلة الثالثة من العمليات العيانية التى يطلق عليها " بياجيه " اسم مرحلة العمليات أو الإجراءات الحسية التى تمتد من السابعة حتى الحادية عشرة تقريباً وبالتالى فإنها تستغرق معظم الطفولة الوسطى وكل الطفولة المتأخرة ، ويصف " بياجيه " هذه المرحلة بأنها تمثل قدرة الطفل على القيام بتصنيف وترتيب وتسلسل الأشياء ، والأحداث وإجراء التناظر بينها ، وينظر إلى ما حوله من أحداث ووقائعه من خلال أبعاد أو اعتبارات مختلفة (كان ينظر إليها قبل ذلك من خلال بعد أو اعتبار واحد فقط مثل طولها أو وزنها أو لونها) واكتشاف قابلية التفكير للانعكاس ، أى إمكانية العودة إلى نقطة البداية فى أى عملية يقوم بها ، بحيث يسير التفكير فى اتجاهين – من البداية إلى النهاية ومن

النهاية إلى البداية – بعد أن كان يسير فى اتجاه واحد فقط (من البداية إلى النهاية فقط) فى المرحلة السابقة .

ويقل بالتدريج معدل نمو الذكاء وتصبح سرعته أقل من أى فترة فى حياة الطفل ، وتقترب من نصف إمكانيات ذكائه فى الرشد ، وقرب نهاية الطفولة المتأخرة تأخذ القدرات الأولية فى التمايز النسبى داخل العاملين الطائفيين الكبيرين ، فتتفتح معالم القدرات على الاستدلال اللفظى والتفكير المجرد ، وتتخصص القدرات الحسابية أو العددية عن القدرات المكانية والتصور البصرى ثنائى وثلاثى البعد وتظهر بالتدريج بعض القدرات الابتكارية المتعلقة بالتفكير المتباعد *Divergent Thinking* ، يميز بدقة بين الخيال والواقع وإن كان ينجذب أكثر نحو الواقع الذى يتعايش معه ويتمثل لمطالبه وإن لم يكن فى وسعه تجاوزه إلى آفاق المكن .

النمو الانفعالى :

توصف هذه الفترة بالطفولة الهادئة نظراً لخلوها النسبى من وحدة الانفعالات وتدفقها ، إذ يساعد ما أحرزه الطفل من استقلال نسبى عن والديه ، وخروجه من دائرة تمركزه حول ذاته واتساع نطاق بيئته وعلاقاته الاجتماعية وتعاظم قدرته على التعبير اللفظى ، ووعيه بمعطيات الواقع ، يساعده على التحكم فى انفعالاته والتعبير عنها بالشكل الاجتماعى المطلوب ، ويدعم ذلك خلو هذه الفترة من الأزمات والخضات التى كانت تعصف به خلال مهده وبداية طفولته المبكرة ، وربما يضاف إلى ذلك مضى وقت كاف على هذه الأزمات يفترض أنه

استطاع خلالها تدعيم المنجزات السابقة دون احتمال لأى ارتداد أو نكوص ومعايشته وتكيفه مع المعطيات الجديدة .

وتكون انفعالات الطفل قد استقرت وتشكلت على أنماط شبه ثابتة يمكن التنبؤ بها خلال الطفولة الوسطى ، كما تتضح الفروق بين الجنسين فى انفعالاتهم ، فالإناث أقل عنفاً فى تعبيراتهن الانفعالية وإن كن أكثر استهدافاً للخوف من البنين ، ويسيطر التعبير اللفظى على الانفعالات ، وتختفى تقريباً مظاهر التعبير الجسمى والحركى التى كانت شائعة فى الطفولة المبكرة ، وفى الطفولة المتأخرة يستطيع غالبية الأطفال تمثيل وتبادل الأدوار الانفعالية مع أترابهم ، وبالتدريج تصبح انفعالاتهم متقاربة مع الموقف ، ويبدو عليهم القدرة على تفهم وتقبل انفعالات الآخرين وتعضديهم ومجاملتهم فى المواقف التى تستدعى ذلك كما هو الحال فى المناسبات السارة والمخزنة والأزمات المختلفة ، لقد أصبحوا يتعاطون مع من حولهم ويتبادلون معهم التعبيرات الانفعالية المناسبة للمقام ، وهكذا يصبح للانفعالات وظائف اجتماعية تساعد الطفل على مزيد من التواصل والتفاعل والتوافق مع الآخرين .

وتظهر أحلام اليقظة لدى بعض الأطفال بصفتها أحد الاثار السابقة للخصائص الانفعالية للطفولة المبكرة حيث الخلط بين الحقيقة والخيال ، كما يمكن اعتبارها حيلة هروبية يلجأ إليها الطفل عند مواجهة الإحباط والفشل وعدم تحقيق الرغبات القوية ، ويجد الطفل فى أحلام يقظة بعض التنفيس عما لم يستطع تحقيقه فى الواقع ، كما يجرب من خلالها (فى الخيال) أدواره المرتقبة وتصرفاته فى المواقف التى يخشى مواجهتها فى الواقع وإعادة صياغتها على النحو الذى يتمناه ، ويسرف

الأطفال فى اللجوء إلى هذه الحيلة إذا كانت ظروفهم الأسرية والاجتماعية ضاغطة ومتأزمة مثل تصدع الأسرة أو الفشل الدائم فى المدرسة أو الشعور المستمر بالنبذ والعجز ، ومع أن لأحلام اليقظة بعض الوظائف الانفعالية الإيجابية فى حياتنا ، إلا أن الإسراف فى استخدامها ربما يشير إلى استفحال القلق, الاضطرابات النفسية .

النمو الاجتماعى :

يتميز النمو الاجتماعى فى هذه المرحلة الطويلة من الطفولة بالتعداد والتنوع والتباين ، إذ تنافس المدرسة الأسرة فى وظيفتها خصوصاً ما يتعلق بعملية نقل التراث الثقافى للمجتمع إلى الطفل ، ويتعاظم دور جماعة الرفاق والجيرة والتنظيمات الاجتماعية الرسمية مثل الراديو والتلفزيون وجماعة الرفاق والنادى ، متنقلاً من نشاط لآخر ، وعندما يسكن إلى منزله يوزع وقته بين التليفزيون والراديو ومجلته المفضلة والمذاكرة .

ونظراً لتفاعله مع رموز مختلفة من السلطة فإنه يعيد تقييمه لوالديه وأحياناً ينزلهما من عليا المثالية إلى الواقع فيكتشف أنهما مثل سائر رموز السلطة والكبار لهم مالهم وعليهم ما عليهم ويتقبل تناقضهما وانفعالاتهما وزلاتهما ، ويفهم حدود معارفهما وأنهما ليسا مصدر كل شئ ، وأحياناً يطفق باحثاً عن مثل جديدة ونماذج منتقاة ، وقد يجد بغيته فى مدرسيه ، جماعة رفاقه ، أبطال التاريخ ، نجوم السينما ، الزعماء الوطنيون ، وربما يصنع قدوته من خصب خياله .

ويتعاظم شعور الطفل بالانتماء لجماعاته المختلفة ، ويجد فى ذلك تأكيداً لحريته وفرديته وهويته الجديدة ، وتظهر الصداقات الجديدة مع الرفاق وأحياناً الكبار ، ويعطى بعد الصداقة جماعة الرفاق شكلاً ووظائف جديدة إذ تصبح الجماعة أكثر جانساً فى السن والميول والانتماءات والجنس ، وتحدد لنفسها أهدافاً تسعى بجد لتحقيقها ، ويكون التفاعل بين أفرادها أعمق وأكثر أثراً بعد تحسن وسائل التواصل اللغوى والتزام الطفل بالقواعد والأصول (النمو الخلقى) ، ويساعد على ذلك وعيه المتزايد بدوره الجنس وحدود هذا الدور وأصوله وتحوله من الاتجاه المعادى للجنس الآخر إلى الاتجاه المحايد وسعيه للتقريب منه بحسن التهندم والتجمل فى الحديث والتفوق فى الدراسة .

مشكلات الأطفال

يزيد الاهتمام فى الوقت الحاضر بمشكلات الأطفال ، وبدراسة هذه أساس أن هذه المشكلات التى تصدر عن الأطفال تمثل اعتلالاً فى الصحة النفسية بالنسبة لهؤلاء الأطفال على أساس أن المشكلات السلوكية والنفسية التى تصدر عن الأطفال قد تستمر مع هؤلاء الأطفال عندما يكبرون ، وقد تتفاقم هذه المشكلات وتشتد عندما يكبرون وتمثل عقبة فى سبيل حياة إيجابية سعيدة بناءة فى المستقبل .

ويجب أن نوضح أن مشكلات الأطفال ترجع أساساً إلى ظروف بيئية غير مناسبة يعيشها الطفل وليس للوراثة دخل فى خلق هذه المشكلات إلا فى أحوال نادرة .

وهذه الظروف البيئية غير المناسبة قد تكون متعلقة بالأسرة أو المدرسة أو بالمجتمع الذى يحيا فيه الطفل ، وقد يكون الآباء سبباً لكثير من مشكلات الأطفال ، ويحدث هذا طبعاً دون قصد فالآباء يريدون

أن يروا أطفالهم ينمون وينجحون ويتقدمون ولكن فى سعيهم لتحقيق هذه الأهداف قد يسيئون لأطفالهم إساءة بالغة فالاهتمام قد لوثهم وتخرجهم للحياة ضعافاً معتمدين على الغير ، خبراتهم الاجتماعية محدودة ، وضع الآباء لأطفالهم أهداف تعليمية غير واقعية ليس فى مقدور هؤلاء الأطفال تحقيقها يوصلهم للفشل وفقدان الثقة بالنفس ، وتعويض الآباء لنواحى نقصهم فى أطفالهم يسئ إساءة بالغة لهؤلاء الأطفال وهذا ما يحدث مثلاً بالنسبة للآباء الذين لم ينالوا حظاً كافياً من التعليم حين نراهم يركزون تركيزاً كبيراً على التحصيل الدراسى لأطفالهم فيحملونهم فوق طاقتهم ويكلفونهم ما لا يطيقه دون مراعاة لظروف هؤلاء الأطفال أو لقدراتهم واستعداداتهم وميولهم .

ونود أن نوجه أنظار الآباء دائماً إلى أنه إذا صدرت مشكلة سلوكية عن طفلهم فعليهم (أى الآباء) أن يسألوا أنفسهم عن دورهم فى خلق هذه المشكلة أو هذه الصعوبة التى يعانى منها الطفل ، وكثيراً ما يكون الآباء متسببين فى خلق هذه المشكلة بسلوكهم وتصرفاتهم تجاه الطفل دون أن يدروا أن يعوا ، والطفل يتأثر تأثيراً كبيراً فى سلوكه بما يجرى داخل البيت وداخل المدرسة ولابد أن تتضافر الجهود بين البيت والمدرسة لإشباع حاجات الطفل الفسيولوجية والنفسية حاجاته إلى الأمن والتقدير والنجاح والانتماء ، ومن المهم مساعدة الطفل أن يحيا طفولته ويستمتع بها وأن يقلل الآباء من تدخلهم فى شئون أطفالهم وألا يحاولوا فرض قيم ومعايير الكبار فى السلوك على هؤلاء الأطفال .

أولاً : مشكلات النطق :

تبين عند مناقشة مظاهر النمو اللغوى أهمية اللغة للطفل كوسيلة أساسية للتعبير والتواصل الاجتماعى وما يترتب على ذلك من اضطراد وتحسن فى مظاهر النمو الأخرى خصوصاً الاجتماعى والمعرفى والانفعالى . وخلصنا إلى استنتاج هام مفاده أن النمو اللغوى السليم من العوامل الأساسية لتوافق الطفل مع نفسه والآخرين ، كما تبين أيضاً أن هذا النمو يسير فى مراحل طويلة متعاقبة تبدأ منذ الصرخة الأولى عند الميلاد ، ويكاد أن يكون موازياً مع نمو التفكير وغيره من العمليات العقلية العليا ، ولكما كان هذا المظهر من النمو على درجة من التداخل والتعقيد والصعوبة نظراً لتأثره بعوامل نمائية كثيرة فإن احتمال ظهور عيوب النطق أمر متوقع ويكاد أن يكون شائعاً لدى نسبة غير قليلة من الأطفال ، وهناك ما يشابه الإجماع بين المتخصصين فى الطفولة أن الكثير من عيوب النطق تندرج فى فئة الاضطرابات النفس جسمية (السيكوسوماتية) لكونها أعراضاً جسمية تعبر بوضوح عن اضطرابات فى الشخصية .

وقد يكون القلق أهم العوامل الكامنة وراء هذه الاضطرابات ، كما يجمعون على أن مشكلات النطق تظهر بوضوح أكثر فى الطفولة الوسطى وعند بداية التعليم الابتدائى على وجه الخصوص ، وإن كان لهذا الظهور مقدمات كثيرة قبل الالتحاق بالمدرسة الابتدائية ، بعبارة أخرى يمثل التحاق الطفل بالمدرسة الابتدائية مجالاً خصباً لاكتشاف عيوب ومشكلات النقط التى لم تكن ملفتة للنظر بشكل واضح لدى الوالدين من قبل ، نتيجة لاعتماد الطفل أساساً على التواصل اللغوى فى المدرسة وما يترتب على ذلك من مقارنة نطقه بنطق مدرسيه وأنداده من التلاميذ .

إن صعوبات النطق على اختلاف أنواعها تتصف بكونها اختلالاً فى التوافق الحركى بين أعضاء الجهاز الصوتى من لسان وشفتين وأحبال صوتية وأسنان وأنف بالإضافة لحركة الفكين والصدغين وغيرها من الأعضاء ، ونظراً لتعدد هذه الأعضاء والتداخل الشديد بين وظائفها أثناء النطق كثرت مشكلات النطق وتعددت أسماء الصعوبات الخاصة بهذه الأعضاء ، فهناك اللجلجة ، والتهتهة ، والخمخمة ، والثأثأة ، الحبسة الصوتية ، اللثغة ، الرنة وغيرها . ومع ذلك يمكن تقسيمها إلى أربع فئات من المشكلات أو عيوب : إيقاعية ، صوتية ، نطقية ، وتعبيرية . ولما كانت الفئة الأخيرة لها أسباب عصبية (تعرف بالأفيزيا وترجع إلى نوع من الإصابة فى الدماغ التى يوجد بها مراكز الإحساس والتعبير والحركة وغيرها) ونسبة شيوعها نادرة بين الأطفال ، لذلك سنركز على الفئات الثلاث الأولى .

وتعرف هذه العيوب علمياً بمصطلح اللجلجة ***Stattering*** وأحياناً يطلق عليها التهتهة أو التلعثم ، وهى حالة من التوتر العصبى تسبب احتباساً فى الكلام بحيث يكون إيقاعه غير مألوف وغير صحيح ، فعندما ينطق الطفل كلمة مثل مدرسة ، قد يوقف عند منتصفها فينطقها " مد ... رسة " أو عند أحد حروفها لفترة ثم يكمل نطق بقية حروفها ، وتعرف هذه الحالة بالتوقف الإيقاعى ؟ وقد يمد أحد أو بعض حروفها فينطقها مدررسة " وتعرف هذه الحالة بالمد الإيقاعى ، وقد ينطق بعض حروفها أو نفس الكلمة أثر من مرة فينطقها ممدررسة " وهكذا ، وتعرف هذه الحالة بالتكرار الإيقاعى ، وقد تأخذ صور أخرى مختلفة لكن جميعها تنحصر فى ثلاثة نماذج هى :

التردد فى نطق الحرف أو المقطع الواحد من الكلمة ***Clonic Spasm*** ، تكرار الحرف أو المقطع أو الكلمة ، والتوقف ***Tonic Spasm*** وعادة ما يصاحب اللجلجة بصورها المختلفة توترات فى

عضلات بعض أجزاء الجسم خصوصاً عضلات الوجه على شكل لزمات أو خلجات ،مثل تقلص الخدين أو الشفتين أو ترمش العينين ، وأحياناً يظهر عسر الإيقاع الكلامى على شكل تشنج خفيف فى اللسان أو عدم السيطرة على عضلات احد الحاجبين ، أو حركة الذراعين والقدمين . وجميع هذه اللزمات غير إرادية ، أى لا يستطيع الطفل السيطرة عليها وغالباً ما يكون غير مدرك أو واع بها . ولما كان إيقاع الكلام وانسيابه ضرورياً فى عملية التخاطب والتواصل اللغوى لذلك تجد الطفل المتلجلج لا يستطيع أن ينقل أفكاره بسهولة إلى الآخرين خصوصاً المواقف الجماعية مثل المناقشة فى الفصل وتبادل أطراف الحديث مع أكثر من شخص ، الأمر الذى ينعكس عليه والآخرين بالسلب ، فقد يتجنبهم ويتجنبونه ، وقد يسخرون منه فتزداد عزلته وتتفاقم حدة مشكلته .

وتشير إحصاءات العيادات النفسية بمصر أن عيوب النطق أقل انتشاراً من اللجلجة فى هذه المرحلة العمرية ، يليها عيوب الصوت ، وأحياناً يطلق على عيوب النطق الإبدال وهى حالة من التوتر العصبى تسبب ما يعرف بالتأخر الكلامى أو استمرار الكلام الطفولى لفترة أطول من المعتاد . ذلك أن بداية تعلم الكلام يصحبها عادة عملية إبدال حرف أو مقطع من الكلمة المنطوقة ، وهى ظاهرة نمائية عادية خصوصاً لو كان الطفل ينطق الكلمة لأول مرة (وأحياناً تظهر عند الكبار عندما ينطقون كلمات غريبة أو كلمات أجنبية) ، وتختفى هذه الحالة بتكرار النطق الصحيح وسماع الآخرين وهم ينطقونها أو التعرف على قواعد النطق مثل دور حروف الحركة وما إلى ذلك ، عموماً يظهر الإبدال على شكل " ثأثأة " أو حذف أو قلب أو تشويه حرف أو مقطع من الكلمة ، فينطق كلمة مدرسة " مدسة " أو مردسة " وهكذا ، ولا يصاحب حالات الإبدال لزمات عصبية وخلجات إلا نادراً .

وأخيراً تعتبر العيوب الصوتية خصوصاً " الخمخمة " أقل شويعاً من سابقتها بين أطفال هذه المرحلة ، وغالباً ما يرجع " الخنف " إلى عيوب مؤقتة أو دائمة فى بعض أعضاء جهاز الكلام مثل وجود شق فى سقف الحلق بحيث لا يستطيع الطفل ضبط الهواء والصوت من خلال الفم ، أو وجود جيوب أنفية أو تشوه فى عظام الأنف .. وما إلى ذلك .

وأحياناً تظهر " الخمخمة " عند إصابة الطفل بالزكام وتستمر معه لفترة بعد شفائه ، ولقد تبين أن التدخل الجراحى لإزالة الزوائد الأنفية أو سد فجوة سقف الحلق يساعد على اختفاء هذا العيب تدريجياً مع التدريب المستمر على النطق الصحيح للأصوات .

ومهما يكن من أمر فإن غالبية عيوب النطق (التى ليست لها أسباب عضوية) ترجع إلى ظروف الأسرة والمستوى التعليمى للوالدين والأخوة . فالطفل فى هذه المرحلة لا يردد إلا ما ينطقه والديه وأخوته الكبار ، فإذا كان نطقهم معيباً سيتأثر بذلك لفترة حتى تتاح له فرص تصحيحه عن طريق المدرسة أو غيرها ، كما أن بعض الأطفال يتميزون بضعف عتباتهم الصوتية الفارق فلا يستطيعون التمييز بدقة بين أصوات اللغة خصوصاً الكلمات المتشابهة فى مخارجها ، وتزداد المشكلة صعوبة إذا لم يوجه الطفل فى الوقت المناسب للنطق الصحيح قبل أن تصبح عادة صوتية تحتاج إلى تدريب ووقت للتخلص منها ، هذا بالإضافة إلى الأسباب النفسية الأخرى التى سبق الإشارة إليها لاسيما القلق ، ومن الأمور المتعارف عليها فى النمو النفسى والصحة النفسية للطفل أن النمو اللغوى وفق المعايير المألوفة لكل مرحلة عمرية من المؤشرات الهامة للنمو الانفعالى والاجتماعى الصحى للطفل ذلك أن التواصل اللغوى السليم حسب سن الطفل ليس محصلة لنشاطه العصبى وذكائه فقط بل لتوافقه الاجتماعى أيضاً .

ويستشف من العرض السابق أهمية دور المدرس فى الحد من العيوب غير العضوية لنطق التلاميذ وأحياناً نجاحها فى إزالتها خصوصاً حالات الإبدال وما شابهها ، وكلما كان المدرس مدركاً ومتفهماً لمشكلات النطق لدى بعض تلاميذه ، وآخذاً بناصيتهم ورقيقاً فى معاملتهم وحامياً لهم من سخرية زملائهم ، يكون التغلب على هذه المشكلات أمراً مرجحاً ، فعلية أولاً أن يكون حريصاً على النطق الصحيح للكلمات أثناء شرح الدرس ويعيد أكثر من مرة نطق الكلمات غير المألوفة لتلاميذه ببطء وثقة . كما عليه ثانياً أن يتجنب طرح الأسئلة على التلاميذ بشكل مفاجئ والإلحاح على إجابتهم بسرعة دون أن يعطيهم فرصة التهيؤ والتفكير فيما يتعين أن يجيبوا عليه ، و يصر على أن يجيب طفل بعينه على هذا السؤال أو ذاك دون غيره من ألأطفال خصوصاً إذا لاحظ عملية الارتباك والتهيب من الموقف ، ولا يهددهم بموقف الامتحان أو يروعهم بإبلاغ أولياء الأمور أو إدارة المدرسة وما إلى ذلك من أنواع التهديد المباشر أو المستتر الذى يزيد من حدة مشكلات التلاميذ الذين يعانون من صعوباتً النطق ويضيف إليهم تلاميذ جدد لديهم استعداداً لظهور هذه المشكلات عندهم ، وأخراً عليه أن يدرك صعوبات النطق لها عدوى اجتماعية لدى التلاميذ فى هذه الأعمار ، إذ من السهل أن ينتقل تأثيرهم إلى الآخرين عندما يكون الموقف غير مريح فى الفصل لأنها حيلة لا شعورية للنكوص إلى مراحل سابقة من الطفولة .

ثانياً : مشكلات التغذية :

قد يتساءل البعض عن العلاقة بين النمو النفسى ولتغذية من جهة ، وعلاقتها بالمدرسة من جهة أخرى ! والإجابة أن العلاقة قائمة بينهما لتصل إلى حد التأثير والتأثر المتبادلين . فالتغذية المتكاملة الصحية هى أساس النمو الجسمى والفسيولوجى الذى يؤثر مباشرة على كافة مظاهر النمو الأخرى خصوصاً الجهاز العصبى والذكاء . فقد تبين

من الدراسات التى أجريت على عينات من أطفال المدرسة الابتدائية فى مصر أن سوء التغذية وما يترتب عليها من " أنيميا " حادة يكف وظيفة الذكاء ، كما أنها من أهم العوامل المسئولة عن التخلف الدراسى ، كما أوضحت نتائج هذه الدراسات أن تأثيرها ينسحب أيضاً على النشاط العام للطفل وحيويته مما قد يترتب عليه ظهور أعراض سوء التوافق .

صحيح أن مشكلات سوء التغذية ليست لها طبيعة نفسية خالصة كما هو فى المشكلات السابقة ، لكن آثارها عادة ما تظهر على شكل مشكلات نفسية ، ومع أن الأسرة هى مصدر مشكلات التغذية فى معظم الحالات ، إلا أن آثار هذه المشكلات لا تنعكس فقط على سلوك الطفل فى الأسرة ومعاناة الوالدين من ذلك ، إنما تمتد إلى المدرسة أيضاً خصوصاً خلال المرحلة الابتدائية ، إذ نظراً لما يتطلبه النمو الجسمى فى هذه المرحلة من سعرات حرارية محددة وبروتينات وأملاح وفيتامينات وكربوهيدرات تمده بالطاقة والعناصر الغذائية الحيوية اللازمة لعمليات البناء (أوضحنا أن عمليات البناء تكون أسرع بكثير من عمليات الهدم فى مراحل الطفولة المختلفة خصوصاً المبكرة منها) ، فإن ما يمكن اختزانه منها يكاد أن يكفيه للقيام بالأنشطة الضرورية خصوصاً الحركية والمعرفية ، وتؤدى مشكلات التغذية مثل فقدان الشهية للطعام أى تخفيض هذا المخزن فيبدو الطفل غير نشط ، فاقداً لحيويته ، يصعب عليه التركيز والانتباه مع بطء التحصيل .

وتمتد جذور مشكلات سوء التغذية إلى عملية الفطام والأسلوب الذى اتبعته الأم فى فطامه ، فعندما يكون الفطام متعسفاً وفجائياً يكون استعداد الطفل لتناول الطعام العادى (استبدال عادة المص بعادة المضغ) ضعيفاً لأنه لم يأخذ فسحة من الوقت للتهيؤ والتدريب على هذه العادة الجديدة . ناهيك عن الآثار النفسية السيئة المترتبة على ذلك خصوصاً إحساسه بفقدان العلاقة الانفعالية التى تربطه بأمه والتى

تدعمت بشدة خلال مرحلة الرضاعة ، إذ لم تعد تحضنه كما كانت تفعل أثناء الرضاعة ، ولم يعد هو أكثر المقربين إليها .. وعادة ما يحدث نوع من التعميم لهذه الخبرة غير السارة (التهديد بفقدان حب الأم) على الطعام الجديد ، خصوصاً وأنه لا يجد تفسيراً لما تفعله أمه به نظراً لعدم اتساع مداركه وفهمه لطبيعة الأحداث التى يعيشها وعدم وجود محصلة لغوية كافية تسعفه فى التعبير عن مشاعره ويفهم عن طريقها الهدف من كل ذلك .

ومع ذلك فإن الكثير من الأطفال يجتازون هذه الخبرة غير السارة بسلام ويقبلون بالتدريج على الطعام الجديد حتى يتعودوا عليه ، لا سيما عندما تستطيع الأم تعويض الطفل عما فقده من ميزات نسبية أثناء الرضاعة وتشعره بثبات وثقة أن حبها له على ما هو عليه بيد أن الظروف الأسرية لبعض الأطفال تساعد على ظهور هذه المشكلة بشكل متزايد كلما تقدموا فى العمر ، وقد تعزى هذه الظروف إلى عوامل كثيرة من بينها تصدع الأسرة ، أو فتور علاقة الطفل بوالديه أو أحدهما ، وشعوره بأنه غير متقبل منهما ، وقد ترجع إلى قسوة الوالدين فى المعاملة أو شعوره بالغيرة من أخوته الأصغر منه الذين مازالوا يلقون رعاية خاصة (أثناء الرضاعة) من الأم . ويستخدم الطفل عزوفه عن الطعام فى مثل هذه الحالات كنوع من الاحتجاج على والديه ، وعندما ينجح فى ذلك تتدعم هذه العادة ويصعب انطفائها بعد ذلك .

وهناك ظروف أسرية أخرى مغايرة لما سبق لكنها تؤدى إلى نفس النتيجة . ذلك أن حرص الوالدين الشديد على تناول أطفالهما وجباتهما الغذائية بالكامل وقلقهما المتزايد عندما لا يستجيب الطفل لتوسلاتهما ويستمر فى عزوفه عن الطعام ، يؤدى إلى زيادة قلق الوالدين عليه ، مما ينعكس ذلك على الطفل بمزيد من العزوف عن الطعام وهكذا تصبح مشكلة مزمنة تتكرر فى اليوم الواحد أكثر من مرة إن الحماية الزائدة

التى سبق أن تحدثنا عنها فى عملية التنشئة الاجتماعية تفسد قدرة الطفل على ضبط تصرفاته وسلوكه وتجعله مدللاً وأحياناً يستخدم العزوف عن الطعام كأسلوب فعال لجذب المزيد من اهتمام الوالدين به ، أو للضغط عليهما كنوع من العقاب .

وهكذا تبدو فقدان الشهوة *Anorecra* حالة دائمة أو مؤقتة تعكس طبيعة العلاقات الانفعالية بين الطفل ووالديه ، وحتى يمكن تحديد هذه المشكلة بوضوح علينا أن نتعرف على خصائصها ، هل هى دائمة أم مؤقتة ؟ هل هناك أسباب عضوية وراء ذلك مثل إصابة الطفل بالديدان المعوية ، اضطرابات المعدة والأمعاء ، نشاط الغدد ، صعوبات مضغ الطعام ، صعوبات البلع ، صعوبات الهضم وما إلى ذلك ؟ هل ظهرت هذه الحالة بشكل فجائى أم هى قديمة مزمنة ؟ وهل فقدان الشهوة عامة النسبة لجميع أنواع الطعام أم ينسحب فقط على بعض المأكولات دون غيرها ؟ وهل تلازمه عندما يتناول طعامه خارج المنزل مع أترابه أو أقاربه مثلاً ؟ وهل فقدان الشهوة يظهر على شكل تأنف من الطعام أو بطء شديد فى تناوله أو يصاحب تناوله قيئ وغثيان ؟ وتساعد الإجابة على هذه الأسئلة التعرف على دور المدرسة فى حل المشكلة ، فإذا كان الطفل يعزف عن طعام الإفطار قبل ذهابه للمدرسة وتظهر عليه أعراض الغثيان والقيئ ، يومكن بالاتفاق مع المدرسة والمدرسين ترتيب إفطاره فى المدرسة بعد الحصة الأولى أو الثانية ويتم ذلك بمشاركة زملائه الذين يعانون من هذه المشكلة . وتدل الخبرة أن الكثير من المدرسين ينجحون فى التغلب على هذه المشكلة عندما يتعرفون على أهميتها ويخصصون وقتاً محدداً فى الصباح لتناول الإفطار بشكل جماعى ، وبالتدريج تحل هذه المشكلة لدى نسبة غير قليلة منهم ، ذلك أن اجتماع الأطفال مع مدرسيهم ومشاركتهم الاجتماعية فى تناول الطعام يكون له دلالة اجتماعية ونفسية عميقة

لديهم " فالمآكلة " رمز للحب والمودة وفرصة لتناول أطراف الحديث ومناقشة المشاكل وتبادل الخبرات فى جو غير رسمى يرغب الطفل أكثر فى المدرسة ويقربه من زملائه ومدرسيه ويرفع الحواجز النفسية بينهم ، ناهيك عن آثارها الجسمية والعقلية المباشرة حيث يستطيع الطفل أن يواصل يومه الدراسى بهمة ونشاط مع قدرته على التركيز والانتباه والتحصيل .

تبقى مشكلة الأطفال الذين يعانون من سوء التغذية خصوصاً بالنسبة لوجبة الصباح ، حيث لا تتيح الظروف المالية لأسرهم تدبير هذه الوجبة على النوح المناسب ، وفى هذه الحالة يكون واجب المدرسة أن تقدم وجبة متكاملة لهؤلاء الأطفال قبل بداية الدرس ، ولحسن الحظ أن هذا النظام أخذ يعم الكثير من المدارس الابتدائية وإن كان قاصراً على تقديم وجبة الظهر فقط ، صفوة القول أن يكون المدرس على وعى مرهف بأهمية هذه المشكلة لأن عائدها سوف يرتد عليه بشكل مباشر ، ناهيك عن الاعتبارات الإنسانية .

ثالثاً : التأخر الدراسى :

تعتبر مشكلة التأخر الدراسى من أهم المشكلات التى تعنى التلميذ والمدرس والأسرة والمدرسة معاً ، فهى ليست مشكلة فردية أو خصاصة مثل المشكلات السابقة ، إذ تكاد أن تكون ظاهرة عامة ملازمة للنظام الدراسى الرسمى فى كافة مراحله لاسيما المرحلة الابتدائية ، وللتأخر الدراسى تعريفات متعددة ، لعل أكثرها شيوعاً هو " الرسوب أو الاستبقاء فى الصف الدراسى الواحد لأكثر من عام بناء على نتيجة امتحانات النقل التى تعقدها المدرسة داخلياً كما هو الحال فى امتحان السنة الثانية والرابعة الابتدائية وجميع سنوات النقل فى المرحلة الإعدادية والثانوية ، أو نتيجة الامتحانات العامة لنقل من

مرحلة إلى أخرى كما هو الحال فى امتحانات الابتدائية العامة ، الإعدادية العامة والثانوية العامة أو ما فى مستواها من تعليم فنى " . وتعتبر نتائج هذه الامتحانات العامة أكثر المؤشرات صدقاً عن التأخر الدراسى ، حيث أن النظام المعمول به فى مدارسنا لا يولى أهمية كافية لامتحانات خصوصاً فى المرحلة الابتدائية .

ومع أن التأخر الدراسى واقع تلمسه المدرسة والمدرسون مع نسبة غير قليلة من التلاميذ ، إلا أن اكتشافه مبكراً قبل ظهور نتائج الامتحانات أمر ممكن إذا توفر وجود اختبارات ذكاء وتحصيل مقننة حسب الأعمار المتوقعة للتلاميذ فى المرحلة التعليمية المراد الكشف عن التخلف الدراسى فيها ، ذلك أن هناك اتفاقاً بين المشتغلين بالقياس النفسى التربوى على أن نسبة ذكاء المتأخرين دراسياً تتراوح بين ٧٠ – ٩٠ ، وأن نسب الذكاء موزعة على الأفراد توزيعاً اعتدالياً . ولكل فئة من فئات نسب الذكاء تسمية أو مصطلح خاص بها على النحو التالى :

الفئة	نسبة الذكاء	توزيعها على أفراد المجتمع
المخلفون عقلياً	أقل من ٧٠	٢.٦٠٪ من أفراد المجتمع
البينى	٧٠ – ٧٩	٥.٦٠٪ من أفراد المجتمع
العادى الغبى	٨٠ – ٨٩	١٤.٥٪ من أفراد المجتمع
متوسط الذكاء	٩٠ – ١٠٩	٤٦.٥٪ من أفراد المجتمع
فوق المتوسط	١١٠ – ١١٩	١٨.١٪ من أفراد المجتمع
الذكى	١٢٠ – ١٢٩	٨.٢٠٪ من أفراد المجتمع
المتفوق الذكاء	١٣٠ – ١٣٩	٣.١٠٪ من أفراد المجتمع
الفائق الذكاء	١٤٠ فأكثر	١.٣٠٪ من أفراد المجتمع

ويلاحظ أن هذا التوزيع تقريبى ، إذ يختلف باختلاف مقياس الذكاء الذى استخدم فى تحديد هذه النسب ، وينطبق التوزيع السابق على مقياس " ستنافورد بينيه للذكاء " . كما ينطبق أيضًا – إلى حد كبير – على مقياس " وكسلر بلفيو " للذكاء ، ويعنى هذا التوزيع أن نسبة المتأخرين درسياً تبلغ ما يقرب من ٢٠٪ ربما تزيد أو تقل هذه النسبة باختلاف المرحلة التعليمية ، إذ من المحتمل أن تزيد كثيراً عن ذلك لدى تلاميذ الصف الأول والثانى الابتدائى ، ثم تقل نسبياً لدى تلاميذ الصف الثالث والرابع نتيجة امتحانات النقل كما أوضحنا وهكذا بالنسبة لتلاميذ الصف الخامس والسادس ، ويحدث تحسن ملحوظ فى نسبة المتأخرين دراسياً فى المرحلة الإعدادية بسبب امتحان الابتدائية العامة ، وهكذا بالنسبة للمرحلة الثانوية ، ويمكن القول من الوجهة التربوية والنفسية أن حصول أى تلميذ على الابتدائية العامة لا يعنى تلقائياً إمكانية استمرار دراسته بنجاح فى المرحلة الإعدادية لاسيما إذا كان المجموع الكلى لدرجاته متواضعاً ، ذلك أن مواصلة الدراسة بنجاح فى المرحلة الإعدادية يحتاج إلى مستوى ذكاء وقدرات عقلية أعلى تطلبه المرحلة الابتدائية ، وهكذا بالنسبة للمرحلة الثانية والجامعية . خصوصاً فى ظل نظام القبول المعمول به فى مصر والذى يعتمد فقط على درجات التحصيل .

كما يمكن الكشف مبكراً عن التأخر الدراسى عن طريق ما يعرف بالنسبة التحصيلية ، وهى نسبة العمر التحصيلى إلى العمر العقلى × ١٠٠ .

$$\text{النسبة التحصيلية} = \frac{\text{العمر التحصيلى}}{\text{العمر العقلى}} \times ١٠٠$$

ويتطلب الأمر – بطبيعة الحال – توفر اختبارات تحصيل مقننة لكل مادة من المواد الدراسية المراد تقدير النسبة التحصيلية لها ،

وتستخرج النسبة التحصيلية العامة بوسائل إحصائياً معروفة ، وبالرغم مما يبدو فى هذا الإجراء من صعوبة ، إلا أن العائد الاقتصادى والتربوى والنفسى على المجتمع والمدرسة والتلميذ يستحق ذلك وأكثر خصوصاً فى المراحل الأولى من التعليم .

أسباب التأخر الدراسى :

بالرغم من أن المظهر العام للتأخر الدراسى واحد وهو التخلف التحصيلى للتلميذ عن غالبية زملائه الذين فى نفس صفة بعام واحد على الأقل ، إلا أن أسباب هذا التخلف متعددة ، وتجمع نتائج الدراسات المختلفة فى مصر والخارج على أن هذه الأسباب لا تخرج من الآتى :

١- أساب وراثية وتكوينية مثل :

- **انخفاض مستوى ذكاء الوالدين أو أحدهما وانتقال هذه الخاصية إلى الابن مباشرة .**
- **ظهور حالات تخلف عقلى فى شجرة عائلة الأب أو الأم خلال الأجيال القريبة أو البعيدة .**
- **إصابة الأم أثناء الحمل بالحمى الألمانية أو الأنيميا الحادة أو الزهرى أو سوء التغذية .**
- **العمر المبكر جداً أو المتأخر للأم أثناء الحمل .**
- **المشكلات المتربة عن الولادة المتعثرة .**
- **سوء الرعاية الصحية والغذائية والاجتماعية خلال السنتين الأوليتين من عمر الطفل .**

٢- أساب بيئية مثل :

- **سوء التغذية خصوصاً نقص البروتينات خلال السنوات الأولى من عمر الطفل .**
- **تعرض الطفل للحمى لفترة طويلة خصوصاً فى السنتين الأوليتين من عمره .**

- تعرض الطفل لبعض الأمراض المزمنة كالأنيميا أو الشلل أو قصور وظائف القلب مما يعيقه عن الحركة واكتساب الخبرات الاجتماعية والمعرفية الضرورية لنموه العقلى .
- الاضطرابات الغدية خصوصاً هرمون الثيروكسين وغيره على نحو ما أوضحنا فى الفصل الأول .

٣- أساب اجتماعية ونفسية مثل :

- تصدع الأسرة أو غياب أحد الوالدين أو كلاهما أو العيش فى مؤسسات الإيواء والملاجئ .
- المعاملة الوالدية القاسية والإسراف فى استخدام العقاب والقمع .
- الخبرات الشخصية المؤلمة والتعرض الدائم للإحباط والإنعصاب .
- الخبرات المدرسية المؤلمة خصوصاً عند بداية الالتحاق بالمدرسة .
- المشكلات النفسية الحادة والدائمة .
- بعض الأمراض النفسية والعقلية .

٤- أساب ثقافية واقتصادية وتربوية مثل :

- تدنى المستوى الاقتصادى للأسرة على نحو يحول دون تلبية بعض المطالب الأساسية للطفل .
- خلو البيئة الثقافية من المؤثرات التى تساعده على النمو العقلى مثل اللعب ، جماعات الرفاق ، فرص الاطلاع وإشباع الدافع لحب الاستطلاع والمعرفة .
- القصور الحاد فى إمكانات المدرسة وتدنى مستو المدرسين والمتابعة والتقويم .

وإذا استثنينا السباب الوراثية والتكوينية ، يمكن اعتبار التأخر الدراسى الناتج عن الأسباب الأخرى وظيفياً *Functional* ، أى يزول السبب البيئى أو الاجتماعى أو النفسى أو الثقافى ، وكلما زال السبب فى وقت مبكر من عمر الطفل يكون احتمال استعادة الطفل لكافة وظائفه العقلى أكثر ترجيحاً . وغالباً ما يرجع التأخر الدراسى إلى أكثر من سبب ، ذلك لتداخل العوامل البيئية مع الاقتصادية والاجتماعية والنفسية ، وفى جميع الأحوال ، يعتبر التأخر الدراسى ظاهرة نسبية بحكم تسميته ، إذ لا تتضح الظاهرة إلا فى مجالها الدراسى ووفق طبيعة النظام المدرسى المتبع ، فقد تخفف الظاهرة أو تشتد وفقاً لصرامة وانضباط العملية التربوية بما فى ذلك أسلوب التقويم (الامتحانات) والمستوى العقلى للمناهج وطرق التدريس والتسهيلات والإمكانات المتاحة بالمدرسة والدليل على ذلك تفاوت نسبة الرسوب فى الحضر عنه فى الريف أو المحافظات المتطرفة ، بل تفاوت هذه النسبة من مدرسة لأخرى ومن المدارس الحكومية إلى المدارس الخاصة وهكذا أرجع إلى إحصائيات وزارة التربية والتعليم لأعوام ١٩٨٢ – ١٩٩٤ ومنشورات مراكز البحوث التربوية فى الخصوص لعامى ٨٤ /١٩٨٥م .

خصائص المتأخرين دراسياً :

أوضحت نتائج دراسة التأخر الدراسى فى المرحلة الابتدائية أن المتخلفين دراسياً يتسمون بالخصائص التالية :

١- أن المتأخرين دراسياً أقل من المتفوقين دراسياً فى النمو الجسمى (الطول والوزن) وأكثر منهم فى نسب الإصابة بالأمراض الشائعة مثل الأنيميا ، البلهارسيا ، الطفيليات والأمراض الجلدية .

٢- يوجد بين المتأخرين دراسياً نسبة غير من التلاميذ المتخلفين عقلياً (المورون) ، خصوصاً فى السنوات الأولى من التعليم الابتدائى .

٣- يتمس المتخلفون دراسياً بتدنى المحصلة اللغوية والقدرة على الفهم ، القدرة الحسابية ، القدرة على إدراك العلاقات المكانية والقدرة على التذكر والتركيز والانتباه ، كما أن مستوى ذكائهم دون التلاميذ العاديين بفارق بالغ الدلالة إحصائياً .

٤- تشيع المشكلات النفسية والاجتماعية والمدرسية بنسبة أكبر بين المتأخرين دراسياً إذا ما قورنوا بزملائهم من التلاميذ العاديين والمتفوقين .

٥- يعانى المتأخرون دراسياً من سوء الرعاية الأسرية وعدم حرص الوالدين على متابعة شئونه .

٦- توجد فروق دالة بين المتأخرين دراسياً والعاديين فى المظهر العام حيث لا يهتم نسبة غير قليلة من المتأخرين بنظافتهم الشخصية وملابسهم وصحتهم وتبدو هذه الفروق أكثر وضوحاً بين لإناث .

كما تبين أن هناك علاقة بين التخلف الدراسى وبعض العوامل الأسرية والمدرسية ، ومن أبرز العوامل الأسرية والاجتماعية ما يلى :

- عدم استقرار داخل الأسرة وتذبذبه ، ويبدو هذا التذبذب بوضوح لدى الآباء الذين لا يعملون فى مهنة ثابتة أو الذين يتنقلون بسرعة من مهنة لأخرى كما تبدو وبوضوح أيضاً لدى الأسر التى يعانى أربابها من البطالة المؤقتة أو الدائمة .
- شيوع الأمية أو تدنى مستوى تعليم الوالدين .
- الخلافات والمشاكل الدائمة بين أفراد الأسرة خصوصاً الوالدين .
- غياب الوالدين أو أحدهما عن الأسرة بشكل متقطع أو دائم مثل العمل بالخارج أو فى مناطق بعيدة لفترة طويلة .

- **المستوى الثقافى للحى السكنى خصوصاً الأحياء الشعبية والفقيرة .**
- **جماعات الرفاق خصوصاً الأطفال والصبية المنحرفين سلوكياً وغير الملتحقين بالمدارس .**

ومن أبرز العوامل ما يلى :

- **تختلف نسب التأخر الدراسى باختلاف نوع المدرسة فهى فى مدارس البنين أكثر منها فى مدارس البنات أو المختلطة ، وفى المدارس الحكومية أكثر منها فى الخاصة .**
- **تزداد نسب التخلف فى المدارس التى تعمل أكثر من فترة دراسية .**
- **كما تزداد هذه النسبة فى المدارس ذات الكثافة العالية فى الفصول .**
- **وهناك دلائل على ارتفاع هذه النسب فى المدارس الموجودة بالمناطق المزدحمة والتى توجد فى مناطق غير هادئة ، والمدارس ذات الحجرات الضيقة .. وما إلى ذلك .**
- **تزداد النسبة فى المدارس التى تفتقر لإمكانيات التربوية المعقولة خصوصاً الاتساع ووجود الملاعب والمقاعد والسبورات ووسائل الإيضاح والمكتبات .**
- **وتزداد أيضاً فى المدارس التى تفتقد للأنشطة الاجتماعية والترويحية والهوايات والرعاية الصحيحة .**
- **وهناك دلائل على وجود علاقة بين ارتفاع نسب التأخر الدراسى وتدنى المستوى العلمى لهيئة التدريس خصوصاً إعدادهم التربوى ، هذا بالإضافة إلى نقص هيئة التدريس وغياب الإشراف الاجتماعى والإدارة التربوية المناسبة .**

وسائل الحد من مشكلة التأخر الدراسى :

نظراً لأن مشكلة التأخر الدراسى محصلة لعوامل كثيرة ومتداخلة على نحو ما أوضحنا ، فإن الحد من هذه المشكلة يحتاج إلى تضافر وتكامل جهود وزارة التربية والإدارات التعليمية مع المدرسة والمدرس والأسرة ، كما يتطلب الأمر تضافر هذه الجهود مع كليات التربية ومراكز البحوث والمحليات ووزارة الصحة والثقافة (البرامج المدرسية فى الإذاعة والتليفزيون) ومع أن لهذه المشكلة أبعاداً قومية واقتصادية واجتماعية لأنها تتعلق بكفاءة نظام التعليم نفسه وانعكاس ذلك على التنمية الاجتماعية بشكل مباشر إلا أن للمدرسة والمدرس دوراً مؤثراً فى الحد من هذه المشكلة أو على الأقل عدم استفحالها ، ولعل البداية المنطقية لمواجهة هذه المشكلة هو وعى إدارة المدرسة والمدرس بخطورة هذه المشكلة والإلمام بأسبابها وأبعادها المختلفة ، ويمكن تلخيص أهم الإجراءات التى يمكن أن تتخذها المدرسة للحد من هذه المشكلة فيما يلى :

١- الكشف المبكر (التشخيص) عن حالات التأخر الدراسى قبل استفحال أمرها وتعرض التلميذ للرسوب وإعادة السنة الدراسية ، وما قد يترتب على ذلك من تسرب دراسى وتعرض مستقبل التلميذ للخطر ، ودراسة حالة التلاميذ الذين تخلفوا فى الامتحانات سواء فى مادة أو أكثر للتعرف على أسباب هذا التخلف ، متابعة كل حالة عن كثب بأسلوب تربوى ونفسى واجتماعى متكامل ومستمر ، ويتطلب الأمر الاهتمام بسجل التحصيل الدراسى واطلاع كل المدرسين المعنيين بالتلميذ على هذا السجل ومناقشة تقدم الحالة بشكل دورى وبالاشتراك مع الأخصائى الاجتماعى .

٢- ويتطلب الأمر تعاون المدرسة مع الأسرة لشرح وتوضيح ظروف الحالة وأسباب التخلف وتوعية الوالدين بأهمية تقديم الرعاية

المطلوبة للتلميذ سواء من الناحية النفسية أو الصحية أو الغذائية حسب ظروف الحالة .

٣- وقد يتطلب الأمر أن تتخذ المدرسة قراراً بإعادة توزيع التلاميذ المتأخرين دراسياً على بعض الفصول أو تركيزهم فى فصل واحد حسب الظروف والإمكانيات المتاحة للمدرسة وإن كان هناك ميزات وعيوب لكل من الانتشار والتركيز ، فانتشار التلاميذ المتأخرين بين التلاميذ العاديين يحفزهم على المنافسة وملاحقة زملائهم من التلاميذ العاديين فى نفس الفصل ويجنبهم الشعور بالنقص ، ومع ذلك ربما لا يستطيع بعضهم الصمود أمام هذه المنافسة لتدنى مستوى قدرتهم على التحصيل والمتابعة ، وقد يترتب على ذلك آثار نفسية سلبية ، وربما يكون لقرار تجميعهم فى فصل واحد ميزة التحكم فى أسلوب التدريس وتخفيف بعض وحدات المقررات الدراسية أو تبسيطها وما إلى ذلك من إجراءات تساعد على حسن تحصيل ومتابعة هؤلاء التلاميذ للدرس ، وقد يترتب على هذا التجميع آثار نفسية سلبية نتيجة شعورهم بأنهم دون المستوى ومعاملة زملائهم لهم فى الفصول العادية على هذا الأساس .

٤- وربما يكون انتشار التلاميذ فى فصولهم الأصلية هو الوضع المناسب تربوياً ونفسياً ، مع التركيز على تواجدهم فى مجموعات خاصة للتقوية وتبسيط المقررات واستخدام الوسائل التعليمية الخاصة .

الفصل السادس
مرحلة الـمراهـقــة

الفصل السادس
مرحلة المراهقة

عندما يصل النمو بالفرد إلى نهاية الطفولة المتأخرة فإنه يسير قدماً نحو البلوغ الذى لا يتجاوز عامين أو ثلاثة من حياة الفرد ، ثم يتطور البلوغ إلى مرحلة المراهقة التى تمتد حتى تصل بالفرد إلى اكتمال النضج فى سن الرشد وذلك عندما يبلغ العمر الزمنى حوالى ٢١ سنة فالبلوغ إذن بهذا المعنى هو القنطرة التى تصل الطفولة المتأخرة بالمراهقة ، والمراهقة هى مرحلة الإعداد للشباب .

معنى البلوغ :

يعرف البلوغ بأنه مرحلة من مراحل النمو الفسيولوجى العضوى التى تسبق المراهقة وتحدد نشأتها وفيها يتحول الفرد من كائن لا جنسى إلى كائن جنسى قادر على أن يحافظ على نوعه واستمرار سلالاته ، وتتميز مرحلة البلوغ بأنها المرحلة الثانية فى حياة الفرد التى تصل فيها سرعة النمو إلى أقصاها ، هذا وتمتد المرحلة الأولى للنمو السريع من قبل الميلاد إلى منتصف السنة الأولى بعد الميلاد ، ويؤدى النمو السريع فى البلوغ إلى إحداث تغيرات جوهرية عضوية ونفسية فى حياة الفرد ولذا يختل اتزان البالغ لاختلاف السرعة النسبية للنمو والسرعات الجزئية المصاحبة لها ، وهذا يشعر الفرد بالارتباك ويميل أحياناً إلى ما يشبه الشذوذ ، وهو بذلك لم يعد طفلاً فلا ينتمى إلى عالم الطفولة ولم يصبح راشداً ، إنه مخلوق حائر لا يدرى أين يجد عالمه الذى يستجيب له ومعه .

المدى الزمنى لمرحلة البلوغ :

يختلف المدى الزمنى لمرحلة البلوغ تبعاً لاختلاف الجنس ذكراً كان أم أنثى ، ويختلف أيضاً تبعاً لاختلاف العوامل الوراثية التى تحدد السلالة التى ينحدر منها الفرد ، وتبعاً لاختلاف البيئة الجغرافية الطبيعية التى يعيش الفرد فى إطارها إذ من المعروف الآن أن سكان المناطق المعتدلة يبلغون أسرع من سكان المناطق الحارة والباردة ، ومن المعروف أن سكان المدن يبلغون قبل سكان القرى ، ومهما يكن من أمر هذه النواحى فالفتاة تبلغ مثل الفتى وتمتد بها مرحلة البلوغ من حوالى سن العاشرة إلى أن يصل عمرها إلى ١٣ سنة ، ويختلف الفتى عنها فلا يبلغ حتى يصل عمره إلى ١٢ سنة وتمتد به هذه المرحلة إلى أن يصبح عمره مساوياً لـ ١٤ سنة .

هذا ولا يعنى هذا التحديد أن كل فتاة تبلغ فى سن ١٠ سنوات ولا أن كل فتى يبلغ فى سن ١٢ سنة ، وذلك لأن الفروق الفردية تؤثر تأثيراً واضحاً فى هذه الظاهرة ، ولذا فقد يصل مدى هذه المرحلة إلى أربع سنوات أو يزيد عليها أو ينقص علنها ، ومعنى هذا أن هذه الحدود هى فى جوهرها متوسطات عامة ، وينطبق عليها كل ما ينطبق على المتوسطات من خواص وصفات ، أى أنها لا تمثل إلا الخواص العامة للظاهرة التى نقيسها .

أسباب البلوغ :

تبدأ الإرهاصات الأولى للبلوغ فى الطفولة المتأخرة ، وذلك بما يقرب من ٥ سنوات قبيل البلوغ حيث تبدأ الغدة النخامية بتنشيط الغدد التناسلية ونضجها وهكذا يبدأ إفراز الهرمونات الجنسية للذكور والإناث تبعاً لهذا التأثير ، وهذه الهرمونات الجنسية تعمل بدورها على نمو

الأعضاء التناسلية حتى تصل إلى نضجها الصحيح فى نهاية مرحلة البلوغ ، وبذلك يعتمد البلوغ على التفاعل القائم بين هرمونات الغدة النخامية والهرمونات التناسلية .

هذا ويعتمد البلوغ على مدى تحكم القشرة المخية فى النضج الجنسى للفرد وتسيطر القشرة المخية على النشاط الجنسى عن طريق ما يسمى بما دون الجذع العصبى *Hypothalmus* وقد دلت التجربة التى قام بها شرينر *Sehreiner* وكلينج *Kiling* على أن إزالة بعض الأجزاء من مخ القطة يجعلها فى حالة تهيج جنسى مستمر .

ويتأثر البلوغ بنوع وكمية الغذاء الذى يتناوله الفرد فكثرة البروتين تؤدى إلى التكبير بالبلوغ ، وكثرة المواد الكربوهيدارتية تؤدى إلى تأخير البلوغ ، ونقص الغذاء يؤخر بدء البلوغ ، ويؤثر أيضاً على النشاط الجنسى للفرد كما تدل على ذلك التجارب التى تجرى على تجويع الفئران ، وكما يدل على ذلك سلوك الأفراد فى معتقلات الحرب ، وذلك حينما يتعرضون للجوع فتضعف تبعاً لذلك رغبتهم الجنسية .

مراحل البلوغ :

تمر مرحلة البلوغ بثلاث مراحل جزئية نلخصها فيما يلى :

١- المرحلة الأولى :

ويبدأ ظهور المظاهر الثانوية للبلوغ مثل خشونة الصوت عند الذكور ، وبروز الثديين عند الإناث .

٢- المرحلة الثانية :

وفيها إفراز الغدد الجنسية فى الأعضاء التناسلية المختلفة عند الذكور والإناث ، ويستمر أيضاً ظهور ونمو المظاهر الثانوية للبلوغ التى بدأت فى المرحلة السابقة .

٣- المرحلة الثالثة :

عندما تصل المظاهر الثانوية إلى اكتمال نضجها وعندما تصل الأعضاء التناسلية إلى تمام وظيفتها تصل هذه المرحلة الثالثة من مراحل البلوغ إلى نهايتها وفى الحالة يكون الفرد قادر على الزواج والإنجاب بأذن الله .

تعريف المراهقة :

المراهقة هى : مرحلة الانتقال من الطفولة إلى الرشد والمصطلح فى اللغة العربية هو مصدر لفعل " راهق " أى قارب الحلم .

والمصطلح فى اللغة الإنجليزية *Adolescence* مشتق من الفعل اللاتينى *Adolescere* ومعناه التدرج نحو النضج .

ويشير بياجيه إلى أن المراهقة من وجهة نظر علم النفس تعنى العمر الذى يندمج فيه الفرد مع عالم الكبار والعمر الذى لم يعد فيه الطفل يشعر أنه أقل ممن هم أكبر منه سناً ، بل هو مساوٍ لهم فى الحقوق على الأقل .

وتبدأ المراهقة بالبلوغ وتمتد حتى سن الرشد فى ٢١ سنة تقريباً ، وهى الطور الذى يمر فيه الناشئ وهو الفرد غير الناضج جسمياً وعقلياً وانفعالياً واجتماعياً – نحو بدء النضج الجسمى والعقلى والانفعالى والاجتماعى . (أحمد زكى صالح ، ١٩٧٢، ١٩٣)

وتمثل المراهقة فترة حرجة فى حياة الفرد ، بمعنى أنها تحتاج إلى تكيف من نوع جديد يختلف تماماً عما كان الفرد قد تعود عليه من قبل .

وهى تبدأ عادة بنهاية مرحلة الطفولة وتنتهى بابتداء مرحلة الرشد أو النضج ، إذ عندما يصل النمو بالفرد إلى نهاية الطفولة المتأخرة ، فإنه يسير قدماً نحو البلوغ الذى لا يتجاوز عامين أو ثلاثة من حياة الفرد ، ثم يتطور البلوغ إلى مرحلة المراهقة التى تمتد حتى تصل بالفرد إلى اكتمال النضج فى سن الرشد وذلك عندما يبلغ من العمر الزمنى حوالى ٢١ سنة ، فالبلوغ إذن هو القنطرة التى تصل الطفولة المتأخرة بالمراهقة ، والمراهقة هى مرحلة الإعداد للرشد .

ويتراوح المدى الزمنى للمراهقة بين الطول والقصر حسب نوعية الأسرة وبنيتها ومستواها الاجتماعى الاقتصادى وثقافتها ، كما أن طول هذه الفترة أو قصرها يتذبذب من وقت لآخر فى المجتمع الواحد وفق الظروف الاقتصادية وغيرها .

وكان من المعتقد حتى وقت قريب أن مرحلة المراهقة هى بطبيعتها مرحلة زوابع وعواصف نفسية ، أى أن الاعتقاد الذى كان يسود هو أن الضغوط والاضطرابات النفسية التى نلاحظها على المراهق هى نتيجة طبيعية لما يمر به من تحولات بيولوجية ، وقد لاقت هذه الفكرة الكثير من الذيوع فى بداية القرن الحالى على يد " ستانلى هول " الذى اعتقد أن من طبيعة المراهق أن يتأرجح بين النقيض والنقيض من الحالات النفسية فى تتابع سريع متلاحق، فالمراهق قد يبدوا سعيداً متفائلاً فى يوم ما ، ثم تعيساً متشائماً مكتئباً فى اليوم التالى .

وأصبح هذا الميل للانتقال من حالة مزاجية إلى أخرى فى خلال فترة وجيزة عند المراهق يعرف " بأزمة المراهقة " إشارة إلى حتمية التلازم بين فترة المراهقة والأزمات النفسية الاجتماعية ، بل وقد شبه البعض سلوك المراهق فى حالاته القصوى بنوبات الفصام ، فالكثير من الخصائص التى تميز سلوك المراهق العادى فى بعض الأحيان قد تشبه السلوك الفصامى إلى حد كبير مثل الشعور بالاختلال وسهولة الانقياد وسرعة التقلب والحديث عن الانتحار .

وقد أيدت بعض النظريات هذه النظرة إلى مرحلة المراهقة ومنها نظرية التحليل النفسى التى تعتبر مرحلة المراهقة مرحلة نفسية بيولوجية لها خصائصها العامة فى جميع البشر أينما عاشوا بصرف النظر عن نوع الثقافة التى يعيشون فيها ، غير أن الكثير من الدراسات التى أجريت أظهرت ما يعارض هذه النظرة ، مما دعا إلى الاعتقاد بأن مشكلات المراهقة – إن وجدت – فإنها ترجع إلى الظروف الثقافية التى يعيش فيها الفرد ، وليس إلى مجرد تطوره البيولوجى ، وقد أيدت الدراسات التى أجرتها " مارجريت ميد " فى جزيرة " ساموا " لبعض القبائل البدائية التأثير الثقافى على المراهقين حيث أن ما يسمى بأزمة المراهقين لا وجود له فى هذه المجتمعات البدائية .

(يشير محمد عماد الدين إسماعيل ، ١٦٠ – ١٦٤) إلى أن أهم واجبات النمو فى هذه المرحلة هى :

١- الاستقلال الذاتى :

يدخل كل من الولد والبنت مرحلة المراهقة وهما فى حالة اعتماد على أبويهما طول مدة الطفولة إلا أن هذه العلاقة ليست هى المميز للشخص الراشد والمراهق يتعجل الوصل إلى هذه المرحلة ، أى مرحلة الرشد ، وبالتالى فإنه يتعجل الاستقلال ، الاستقلال أمر طبيعى إذ أن المراهق سوف لا يصبح راشداً بمعنى الكلمة إذا كان أبواه هما اللذان يقرران له كل شئ ويتصرفان فى شئونه دون رأيه أو مشورته وعلى ذلك تصبح مرحلة المراهقة مرحلة حساسة من هذه الناحية ، كيف يتخلص المراهق من السلطة الأبوية أو غيرها من السلطات التى تمارس عليه ضغطاً أو مجرد عدم اعتراف وهو الذى وصل إلى هذه الدرجة من النضج الجسمى والعقلى ما يمكنه من معرفة مصلحته الشخصية على الأقل هذا هو شعوره الذى يكون لديه.

٢- تكوين علاقات سوية بجماعة الرفاق :

ويدخل فى هذا الإطار علاقات المراهق بأصدقائه وبجماعة الرفاق وبزملائه فى الدراسة ، أو بغيرها ممن يتصل بهم فى حياته بشكل عام ، خارج أعضاء السلطة فى المنزل أو فى المدرسة ، وتلعب هذه العلاقات دورها فى أزمات المراهق ، من حيث ما يمكن أن يقوم بينه وبين الآخرين من الزملاء ، مثلاً من خلافات على التعاون أو الانقياد أو الزعامة أو غير ذلك من أشكال العلاقات التى قد لا ترضى ذاتية المراهق ورغبته فى الشعور بالتفرد ، كيف يتخلص المراهق من الاعتماد الكلى أو الخضوع التام لفكرة الجماعة عنه ، حيث أنه لم يعد صغيراً كما كان ؟ كيف يمكنه أن يحتفظ بعلاقته بهم دون تسلط وانزواء ؟ هذه هى بعض الأسئلة التى تعبر عن المواجهة بين المراهق وبين أعضاء

مجتمعه من الرفاق ، والتى قد يترتب عليها الكثير من الأزمات النفسية والاضطرابات فى علاقاته وسلوكه الاجتماعى ، وهذا أمر طبيعى بالنسبة لشخص مازال فى مرحلة انتقال بين الطفولة والرشد ، لم يتدرب بعد على المهارات الاجتماعية التى يمكن أن تقيه من هذه الأزمات .

٣- الاستقلال الاقتصادى اختيار المهنة :

إن الشخص لا يكون راشد بمعنى الكلمة ، ما لم يكن قادراً على كسب عشيه بنفسه ، وهذا هو ما يصبو إليه المراهق ، فهل يبدأ من الآن أم يكمل تعليمه ؟ ولأى مهنة يعد نفسه ؟ لما يميل إليه هو أم لما قد يجبره عليه أبوه ، وهل تستمر البنت فى التعليم أم لا ؟ وإذا تعلمت فهل تتعلم تعليماً خاصاً لم لا فرق بينها وبين الولد ؟ كل هذه وأمثالها من مواقف يواجه فيها المراهق مجتمعه (المنزل بشكل خاص) ، ويترتب على ذلك الكثير من الأزمات التى قد يكون لها تأثير كبير فى نمو الفرد فى هذه الفترة الحرجة .

إن اختيار المهنة والإعداد لها هو نقطة تحول كبير فى مجتمعاتنا المعاصرة ، ومن هنا تأتى أهمية المواجهة فى هذه المواقف التى تتصل بالاستقلال الاقتصادى .

٤- تحديد الدور الجنسى :

لقد سبق للطفل أن حدد دوره الجنسى فى مرحلة الطفولة المبكرة ، فأستطاع أن يفرق بين الذكر والأنثى ، واستطاع كذلك أن يتعرف على ما يتوقعه المجتمع – سلوك الأطفال الذكور وسلوك الأطفال الإناث وربما كان التأكيد هنا على صفتين أساسيتين هما العدوانية فى مقابل الأتكالية ، ففى حين لا يقبل من الطفلة وبالعكس حين لا يقبل منها أن تكون عدوانية قوية قد يؤكد ذلك بالنسبة للولد .

على أن الصورة بالنسبة للمراهق لا تتوقف عند هذه التفرقة البسيطة بل تضاف إليها عدة ملامح هامة تحدد ما يجب أن يكون عليه كل من الرجل والمرأة فى مجتمع الراشدين ، ففى تصور المراهق أن الثقافة قد تتوقع من الرجل أن يكون أميل إلى السيطرة أكثر عدوانية ، أقدر على المبادأة ، أشد اهتماماً بالتحصيل ، وذلك فى الوقت الذى يتوقع فيه من المرأة أن تكون أميل إلى التنازل أو الإذعان ، أكثر عاطفية أشد حنواً وأكثر إظهار للرعاية .

وفى الوقت الذى كان فيه الطفل قبل مرحلة المراهقة يركز ميوله وعواطفه نحو أقرانه من نفس الجنس ، نجد أنه عند المراهقة وخاصة قرب نهايتها يبدأ الجنس الآخر يحتل مكاناً هاماً فى حياته العاطفية ذلك أنه خلال هذه المرحلة يستعد لاختيار شريك حياته من الجنس الآخر ، ولاشك أن التغيرات الجسمية التى تحدث فى بداية مرحلة المراهقة يكون لها تأثير كبير فى استثارة هذا الميل الجديد .

وإذن فبنهاية مرحلة المراهقة تتوقع الثقافة من الفرد أن يكون رجلاً أو امرأة بالمعايير التى تتبناها سواء من الناحية الجسمية أو من الناحية السلوكية ، والمراهق فى عجلة من أمره أو من حيث المظهر العام الذى يعد نفسه لأدائه فى مرحلة الرشد أو من حيث المظهر العام الذى سيكون عليه ، أما الثقافة التقليدية فموقفها محدد من هذه الأمور جميعاً مما قد يتعارض أو يتوافق مع حاجات المراهق الملحة ، وعلى ذلك إذا لم يستطيع المراهق أن يتصور إمكانية تحقيقه توافق ما بين حاجاته العاجلة وبين توقعات المجتمع منه فسوف يقع فى أزمات تختلف حدة أو خفة تبعاً للثقافة الفرعية التى ينتمى إليها .

٥- تبنى إطار خلقى :

إن من خصائص النمو للمراهق هى قدرته على إدراك المجردات وبالتالى قدرته على التفكير المجرد ، ولكن فى الوقت الذى يشعر فيه المراهق أنه يستطيع أن يفكر " كالكبير " فإن الموقف التقليدى للثقافة التى يعيش فيها يؤكد أنه لازال صغيراً وأن المرحلة التى يمر بها ما هى إلا امتداد لطفولته ، بدلاً من أن يعتبرها إعداداً للمرحلة القادمة ، وكنوع من الثورة على هذا الموقف وتأكيداً لنمو قدراته العقلية الجديدة فقد يبدأ المراهق يشك ويستجوب ، وأحياناً يستنكر جميع الأوامر والنواهى والحقائق التى كان يتلقاها وُيلقنها عندما كان صغيراً ، يبدأ يناقش الأمور التى كان يسلم بها تسليماً ، كالدين والنظم الاجتماعية والمعايير الخلقية ، والتقاليد والعادات ، وكل ما يحيط به من قضايا فكرية ، بل قد يصل الأمر بالمراهق إلى أبعد من ذلك ، فى مواجهة هذه الأمور المجردة ، فقد يصل إلى الحد الذى يبدأ عنده يتساءل عن ماهية الحياة وقيمتها ، عن المثل الأعلى الذى يمكن أن يقتدى به ، وباختصار فإنه يكون فى حاجة إلى فلسفة عامة للحياة تقوده عبر كل هذه المشاكل والمواجهات .

أهمية مرحلة المراهقة :

يعد الشباب فى مرحلة المراهقة ثروة بشرية هائلة فهذه المرحلة هى المرحلة التى يتخير فيها المراهق نوع الدراسة أو المهنة وهى السن التى يتعلم فيها المهارات اللازمة لإتقان المهنة التى يختارها وهى المرحلة التى تتبلور فيها قيمه واتجاهاته العقلية والخلقية والاجتماعية مما يجعلها مرحلة بالغة الأهمية لكل من الفرد والمجتمع .

ففى هذه المرحلة يعد الفرد نفسه ليبدأ العطاء والبذل لمجتمعه ، ويلزمنا هذا ببذل كل ما فوسعنا للحفاظ على هذه الطاقة البشرية ، والعمل على تنميتها واستثمارها بأفضل صورة ممكنة ، فالإنسان هو

محور عملية التقدم ، ولا يمكن لأى عملية تنمية تجاهله والاهتمام فقط باستثمار الثروات الطبيعية وإهمال العنصر البشرى والذى يعنى أن نخسره كطاقة بناء وإنتاج ، وقد يفضى هذا الاهتمام إلى تحول الشباب فى هذه المرحلة إلى طاقة تدمر نفسها ومجتمعها ، هذا بالنسبة لأهمية مرحلة المراهقة من ناحية المجتمع .

أما من ناحية الفرد ، فتعد هذه المرحلة من أكثر مراحل النمو حرجاً لأنها يتحدد فيها مستقبل الفرد بدرجة كبيرة كما أنها فترة تكتنفها الكثير من الصعوبات والصراعات والقلق ، والفرد فيها عرضة للجنوح ما لم يجد العون اللازم من الآخرين ، وبالنسبة لكثير من الأفراد المنحرفين والمضطربين سلوكياً كانت بذور وبدايات انحرافهم فى هذه المرحلة .

كما أن بعض الأعراض النفسية والعقلية تنفجر فى مرحلة المراهقة ، حيث تكون البذور كامنة منذ الطفولة ، وتهيئ الصعوبات والتوترات والصراعات المرتبطة بالمراهق المناخ الملائم للظهور فتبدأ الاضطرابات النفسية والعقلية كمؤشر على إخفاق الفرد فى مواجهة الصراع ، وعدم قدرة " الأنا " لديه على حل الصراعات بنوعيها الصراعات بنوعيها الداخلى والخارجى ، وتمثل هذه الاضطرابات أساليباً غير سوية للتوافق لدى الفرد مع ذاته ومجتمعه .

ويتضح ما سبق أهمية مرحلة المراهقة بالنسبة لكل من الفرد والمجتمع مما يجعل من رعاية المراهقين أمراً بالغ الأهمية .

المميزات العامة لمرحلة المراهقة :

تشير " هيرلوك " (سيد محمود الطواب ، ٣٢٤ – ٣٣١) إلى أن مرحلة المراهقة تتسم بمميزات تنفرد بها عن باقى مراحل النمو السابقة واللاحقة والتى تتمثل فيما يلى :

١- المراهقة مرحلة هامة فى حياة الفرد :

فبينما كل مراحل النمو هامة بالنسبة للفرد إلا أن بعضها أكثر أهمية من الآخرى ، وذلك إما بسبب تأثيراتها الحالية على الاتجاهات والسلوك أو بسبب تأثيراتها تكون طويلة المدى فى حياة الفرد ، ولكن مرحلة المراهقة تجمع بين الأهميتين حيث أن لها تأثيرات حالية وتأثيرات طويلة المدى .

وإذا كانت بعض المراحل هامة بسبب تأثيراتها الجسمية أو بسبب تأثيراتها النفسية ، فإن مرحلة المراهقة هامة لأنها تجمع بين السببين أيضاً ، كما يصاحب النمو الجسمى السريع الهام ، خاصة فى المراهقة المبكرة تطور عقلى سريع أيضاً يتطلب توافقات عقلية جديدة ، كما يتطلب بناء اتجاهات وقيم وميول جديدة أيضاً .

٢- المراهقة مرحلة انتقالية :

ولا يعنى الانتقال تغير عما حدث من قبل ، ولكنه يعنى مروره إلى مرحلة أخرى وهذا يعنى أ ما حدث من قبل سوف يترك بصماته على ما يحدث الآن ، وما سوف يحدث فى المستقبل .

إن الأطفال عندما ينقلون من الطفولة إلى الراشد خلال المراهقة يجب أن يتخلصوا من الأشياء الطفلية (الصبيانية) ، كما يجب أن يتعلموا أشكالاً جديدة من السلوك والاتجاهات بدلاً من الأشكال القديمة التى تخلوا عنها ، إن ما يحدث فى المراهقة ، وسوف يؤثر فى الأنماط الجديدة من السلوك والاتجاهات .

فالتغيرات الجسمية التى تحدث خلال سنوات المراهقة الأولى تؤثر فى مستوى سلوك الفرد وتقوده إلى إعادة تقييم لاتجاهاته وقيمه السابقة وكذلك لكل عملياته التوافقية .

إن حالة الفرد فى أى مرحلة انتقالية غالباً ما تكون غامضة خاصة بالنسبة للأدوار الاجتماعية التى يمكن أن يلعبها ، فالمراهق فى

هذا الوقت ليس طفلاً ، كما أنه ليس راشداً ، فإذا سلك مثل الأطفال فإن يؤنب من جهة الكبار ، ويطلب منه أن يسلك وفقاً لسنه ، أما إذا سلك مثل الكبار فإنه يتهم بأنه صغير على هذا السلوك .

وهذه الحالة الغامضة للمراهقين لها مميزات من حيث أنها تعطيهم الوقت الكافى لمحاولة تجريب أنماط من الحياة حتى يحددوا أى الأنماط السلوكية والقيم لاتجاهات التى تناسب حاجاتهم بصور أفضل .

٣- المراهقة مرحلة تغير :

حيث تحدث تغيرات سريعة فى جميع جوانب الفرد وفى سلوكه واتجاهاته ، وتؤدى هذه التغيرات إلى النتائج التالية :

أ) زيادة الانفعالية التى تعتمد شدتها على معدل التغيرات الجسمية والنفسية التى تحدث ، وعادة ما تحدث هذه التغيرات بسرعة أكبر خلال المراهقة المبكرة ، لذا يكون الجانب الانفعالى أكثر شدة فى بداية المراهقة أكثر من نهايتها .

ب) أن التغيرات السريعة التى تصاحب النضج الفسيولوجى تجعل المراهقين الصغار غير متأكدين من أنفسهم وقدراتهم وميوله ، إن لديهم إحساساً قوياً بعدم الاستقرار ذلك الشعور الذى تؤكده المعاملة الغامضة التى يتلقاها المراهقون من الوالدين والمعلمين والكبار بصفة عامة .

ج) إن التغيرات الجسمية وما يصاحبها من تغيرات فى الميول وفى الأدوار الاجتماعية المتوقع أن يلعبها المراهقون تخلق مشكلات جديدة تبدو لهم أكثر عدداً وأقل حلاً مقارنة بالمشكلات التى واجهوها من قبل وحتى يستطيعوا حل هذه المشكلات إلى المستوى المرضى ، يظل المراهقون مشغولين بها وبأنفسهم .

د) وكما تتغير الميول وأنماط السلوك تتغير أيضاً القيم فما كان هاماً لهم كأطفال يبدو أقل أهمية لهم الآن وهم على حافة الرشد ، فمثلاً

لـم يعـد معظـم المـراهقين يـرون أن عـدد الأصـدقاء أكثـر أهميـة مـن نوعية هؤلاء الأصدقاء ، أنهم بدأوا يتعرفون بأن النوع أكثر أهمية من الكم .

هـ) يتردد معظم المراهقين أمام هذه التغيرات التى يمرون بها حيث توجد لديهم مشاعر متصارعة مترددة ، أنهم يريدون الاستقلال ، لكن غالباً ما يفزعون من المسئولية التى تتمشى مع هذا الاستقلال ويتساءلون عن ذى إمكانية التأقلم مع هذه المسئوليات .

٤- مرحلة المراهقة تمثل مشكلة :

حقيقة أنه لكل عمر مشكلاته الخاصة ، إلا أن مشكلات المراهقة غالباً ما تكون صعبة فى التأقلم معها سواء بالنسبة للفتيان أو الفتيات على حدً سواء ويعود ذلك إلى سببين :

أ) خلال الطفولة استطاع الأطفال حل مشكلاتهم جزئياً على الأقل عن طريق الوالدين والمدرسين ، ونتيجة لذلك ، فإن كثيراً من المراهقين لم يخبروا من قبل مواجهة المشكلات بمفردهم .

ب) يريد المراهقين غالباً الشعور بالاستقلال ، ولهذا فهو يطلب حق التكيف مع المشكلات بمفرده رافضاً محاولات الوالدين والمعلمين لمساعدته ، وبسبب عدم قدرته على التأقلم مع المشكلات بمفرده مع اعتقاده بأنه قادر على ذلك ، لا تأتى الحلول دائماً حسب توقعات كثير من المراهقين

٥- المراهقة مرحلة البحث عن الهوية :

إن المسايرة لمعايير الجماعة فى الطفولة المتأخر عملية أكثر أهمية للأطفال الأكبر سناً ، حيث يكون اهتمامهم الأول الجماعة أكثر من الفردية ، ويبدو ذلك فى الكلام والملبس والسلوك حين يحاول الأطفال الكبار أن يكونوا مثل أقرانهم تماماً فى الجماعة ، وأن أى انحراف عن معايير الجماعة فيه نوع من التهديد فى عملية الانتماء لهذه الجماعة .

أما فى سنوات المراهقة المبكرة فبالرغم من أن عملية المسايرة مازالت هامة بالنسبة للجنسين إلا أنهما بالتدريج يبحثان عن الهوية والذاتية ، لم يعد هؤلاء المراهقين يهتمون بالتشبيه بأقرانهم فى كل مجال كما كانوا من قبل .

إن الحالة الغامضة للمراهق فى عدم كونه طفلاً أو راشداً ، تسهم بدرجة كبيرة فى أزمة الهوية أو ما يسميه إريكسون " بالهوية الذاتية ***Ego Identity*** " ويري إريكسون أن الهوية التى يبحث عنها المراهق تتمثل فى الآتى :

من هو؟ ما دوره فى المجتمع ، هل هو طفل أم راشد ؟ هل يمكن أن يشعر بالثقة بالنفس بالرغم من أن بعض الناس ينظرون إليه على أنه أقل منهم وفقاً لجنسيته أو دينه أو لطبقته الاجتماعية ؟ وبصفة عامة هل سيكون ناجحاً أم فاشلاً فى المستقبل ؟

إن إحدى الطرق التى يلجأ إليها المراهقون للشعور بأنفسهم كأفراد لديهم كيانهم الخاص هى استخدام الرموز سواء فى الملابس أو الأدوات الشخصية أو السيارات أو الكتب ، والتى تشير إلى الانتماء إلى جماعة أو نادى معين أو مستوى معين .

ويأمل المراهقون بهذه الطريقة جذب انتباه الآخرين إليهم ليعرفوهم كأفراد مستقلين محتفظين فى نفس الوقت بانتمائهم إلى جماعة الأقران .

٦- المراهقة مرحلة مفزعة :

تتضمن الكثير من الاعتقادات الشائعة عن المراهقين آراء سلبية عنهم فتنظر للمراهقين على أنهم جماعة صبيانية لا يمكن الاعتماد عليها ، وغالباً ما تتجه إلى التخريب والسلوك المضاد للمجتمع ، الأمر الذى جعل كثير من الراشدين المسئولين عن إرشادهم يكونوا غير متعاطفين فى اتجاهاتهم ومعاملتهم لسلوك المراهقين العادى ، كما أثرت هذه

النمطية الشائعة عن المراهقين فى مفهوم الذات واتجاهاتهم نحو أنفسهم الأمر الذى جعل الانتقال من مرحلة المراهقة إلى مرحلة الرشد عملية صعبة .

٧- المراهقة مرحلة البعد عن الواقعية :

يميل المراهقون إلى النظر إلى الحياة بنظارة وردية ، فهم يرون أنفسهم وأصدقائهم كما يريدون أن يروهم ، وليس كما هم عليه بالفعل ، ويظهر هذا بصورة جلية فى مستويات طموح المراهقين ، هذه الطموحات غير الواقعية ليست لهم فقط بل تشمل أسرهم وأصدقائهم والتى تعود فى جزء كبير منها إلى الانفعالية العالية التى تميز المراهقة المبكرة .

وكلما زادت طموحات المراهقين غير الواقعية ، كانوا أكثر غضباً وتوتراً وخيبة أمل عندما يشعرون أن الآخرين قد سبقوهم أو أنهم لا يستطيعون تحقيق الأهداف التى وضعوها لأنفسهم .

لكن مع زيادة الخبرات الشخصية والاجتماعية للمراهق وزيادة قدرته على التفكير السليم ، يرى المراهقون الأكبر سناً أنفسهم وأسرهم وأصدقائهم والحياة بصفة عامة بصورة أكثر واقعية ، مما يقلل من خيبة الأمل التى خبروها فى المراهقة الأولى عندما كانوا صغاراً الأمر الذى يسهم فى تحقيق السعادة للمراهقين الكبار .

٨- المراهقة عتبة المرور إلى الرشد :

عندما يقترب المراهق من النضج الكامل ، فإنه يكون قلقاً للتخلى عن سلوك المراهقة ، وعليه أن يخلق الانطباع لدى الآخرين بأنه اقتراب من مرحلة الرشد ، ويكتشف أن الملبس والسلوك مثل الراشدين ليس كاف فيركز على أنواع جديدة تؤكد فيه هذه الناحية ، فيلجأ الفتى أحياناً إلى التدخين ، كما تلجأ الفتاة إلى استخدام أدوات التجميل مثلها مثل

الكبار ، إنهما يعتقدان أن مثل هذا السلوك سوف يؤدى إلى الصورة التى يرغبوها .

النظريات المفسرة للمراهقة

تناولت عدة نظريات النمو خلال مرحلة المراهقة ، وقد أكدت بعض هذه النظريات على العوامل البيولوجية (الفطرة) على أنها العوامل الأساسية المحددة للنمو ، بينما أكد بعضها الآخر على العوامل الاجتماعية الثقافية (الاكتساب) ، وقد فسر فريق ثالث من أصحاب النظريات النمو فى ضوء التفاعل بين كل من العوامل البيولوجية والاجتماعية ، وسوف نناقش فيما يلى مثالاً لكل من هذه الاتجاهات الثلاث :

أولاً : النظريات البيولوجية :

وينتمى إلى هذا الاتجاه تلك الدراسات المبكرة التى أجريت فى مجال علم نفس الطفل مثل دراسات " ستانلى هول " ونظرية الغريزة لمكدوجل ،

كذلك يمكن اعتبار نظرية التحليل النفسى لفرويد " نظرية غريزة " على الرغم من أنها تضمنت ما هو أكثر من ذلك بكثير ، حيث حاولت تحديد مختلف القوى النفسية التى تكمن بين المثير والاستجابة فى خبرة الفرد الشخصية ، كما اهتمت هذه النظرية – وإن كان ذلك على نحو ثانوى إلى حد ما – بتحديد وتوضيح تأثير العوامل بصفة خاصة على تكوين أو تشكيل الأنا الأعلى ، ومع ذلك فإن مفهوم تفتح الشخصية *Unfolding of Personality* عبر تتابع معين لمراحل نمائية معينة تتسم بالشمول والعمومية يعد مما يبيح إمكانية اعتبار المنحنى الفرويدى منحنى بيولوجياً فى المقام الأول .

ـ نظرية هول :

على الرغم من أن العديد من الافتراضات التى استند إليها هول فى نظريته قد ثبت خطؤها بالفعل، إلا أنها ظلت ذات تأثير كبير لسنوات عديدة .

ويرى هول أن التركيب العضوى للفرد يعكس نمو الأنواع أى أن الفرد الراشد يكون قد مر خلال سلسلة من المراحل النمائية تتناسب وتلك المراحل التى مر بها الجنس البشرى فى نموه ، وبذلك تتصف نظرية هول بأنها نظرية " تلخيص واستعادة " أى أن الفرد فى نموه يمر بفترات تقابل الفترات التى مرت بها البشرية فى تطورها ، حيث يمثل طور الإنسان البدائى الذى كان يعيش فيه كحيوان يصارع ليعيش مرحلة الطفولة ، ويرى أن مرحلة المراهقة التى تمثل انتقالاً من الطفولة إلى الرشد تناظر فترة الاضطراب التى مر بها الإنسان قبل أن يعمل على الارتقاء بنفسه من حياة الهمجية إلى صورة وأشكال المجتمعات المتحضرة .

وقد اعتقد هول أيضاً أن التناوب والتعاقب المميز لمزاج وسلوك المراهق إنما يعكس إعادة أو تكرار الأطوار الأكثر بدائية وتلك الأكثر تقدماً التى مر بها الجنس البشرى فى نموه وتطوره كنوع .

ويرجع إلى هول استخدام مصطلح " العواصف والتوتر " وهو مصطلح استخدمه كتاب الحركة الرومانسية ، فى القرن التاسع ، واستخدمه هول لوصف ما تتسم به مرحلة المراهقة من صراع بين الأنانية والمثالية ، بين القسوة والرقة ، بين التمرد والطاعة .

وقد سقطت هذه النظرية برمتها فيما بعد ، وُصرف النظر عنها فى مجال علم نفس النمو بفضل انتشار رفض التسليم بقيمة الاعتقاد الخاص بوراثة الخصائص والصفات المكتسبة .

وقد اعتبر هول أن المراهقة هى فترة ميلاد جديد تتسم بخصائص وصفات تختلف عن مرحلة الطفولة ، وما زالت كثير من المفاهيم الشائعة عن مرحلة المراهقة تتشبث بهذه النظرية إلى المراهقة على أنها فترة مضطربة بالرغم من سقوط نظرية هول على الرغم من وجود دلائل حديثة تؤكد عكس نظرية هول وتشير إلى أن المراهقة ليست فترة عاصفة والدليل على ذلك أن

نسبة الذكاء تظل ثابتة نسبياً ، كما أنه ليس هناك دليل قوى على التغيرات السريعة فى الشخصية أو العلاقات الاجتماعية ، وإن كانت بعض التغيرات تحدث فعلاً إلا أنها بطيئة وتمثل استمرارية للنمو ، وإن كان بعض المراهقين قد يمرون بفترات عاصفة مليئة بالضغط فإن معظمهم قد لا يتعرضون لهذا الضغط .

ويعتقد هول أن الشخصية فى فترة المراهقة تمر بتغيرات سريعة لدرجة يبدو المراهق معها شخصاً مختلفاً ، أو بعبارة أخرى يعتقد هول أن النمو من الطفولة إلى المراهقة ليس متصلاً ، ويأخذ دليله على هذا الرأى من أن بعض التغيرات فى فترة المراهقة تختلف تماماً عما كانت عليه فى فترة الطفولة ، ودليله على ذلك النمو الجسمى وما يصاحبه من تغيرات واضحة – ولأن هذا النمو واضح وسريع فقد عممه " هول " على جوانب أخرى من جوانب نمو المراهقة ، كما أن علاقات الصداقة بين الجنسين تبدأ فى الظهور ، وتظهر بعض التغيرات المعرفية كالتفكير الإجرائى أى الشكلى ، كل هذا يعتبر تغيراً كاملاً فى نمو شخصية المراهق كما تصور هول ، والحقيقة أن جوانب النمو هذه لم تكن متوقفة بل هى مستمرة ، ومتدرجة من الطفولة إلى الرشد .

وبناء على ما سبق فيجب النظر إلى تغيرات هذه الفترات على أن امتداد واستمرار فى النمو وليست مرحلة تمثيل طفرة .

(هدى قناوى ، ١٦ – ١٨)

ثانياً : النظريات الاجتماعية الثقافية :

يميل علماء الاجتماع والأنثربولوجى إلى إعطاء العوامل البيئية الثقافية أسمية أكبر من العوامل البيولوجية أو المحددات الداخلية للسلوك وقد جاءت أولى التحديات الجادة التى صادفتها النظريات البيولوجية بخصوص فترة المراهقة من علم الأنثربولوجيا الثقافية فى عشرينات وثلاثينات القرن

الحالى ، وقد أصبح قدراً كبيراً من المعلومات والبيانات الأنثربولوجية عن المراهقة متاحاً منذ عام ١٩٢٥ مع ظهور أبحاث "مارجريت ميد " عن الحياة فى جزر " ساموا " وسرعان ما اتضح بعد ذلك أن السلوك الذى كان يعزى وينسب بثقة إلى المراهقين فى وقت ما باعتباره يمثل جزءاً من تكوينهم أو ميراثهم البيولوجى لا يتخذ صفة العمومية والشمول بأى حال من الأحوال ، وقد أصبح من المسلم به تبعاً لذلك أن كل ما يمكن أن يصادفه المراهقون ويعايشونه من صراع وتوتر ومشكلات لا يمكن التفكير فيه طريقة مفيدة إذا نحن تناولناه بمعزل عن الضوابط والمعايير الثقافية التى يخضعون لها فى مجتمعهم .

ويشير (على الدين كفافى) إلى أن فكرة أن البيئة هى المحدد الأول للسلوك ليست جيدة فى الفكر السيكولوجى ، بل إن " أرسطو " قد أشار إلى أن الطفل يولد وعقله صفحة بيضاء ثم تسجل عليه الانطباعات الحسية بعد ذلك ، وهى نفس الفكرة التى تبنتها المدرسة التجريبية الإنجليزية التى تبدأ من " جون لوك " و " ديفيد هيوم " ثم " جيمس ميل " و " جون ستيوارت ميل " الذين اعتبروا أن الخبرة الحسية هى المصدر الرئيسى للفكر والسلوك ، وقد افترضوا أن العملية الأساسية فى التفكير هى الترابط بين الانطباعات الحسية لتتكون منها الفكرة ثم ترتبط هذه الفكرة بأفكار أخرى .

وينظر علماء الأنثربولوجى إلى العوامل البيئية والثقافية على أنها ذات أهمية أساسية فى تحديد النمو الجسمى أما عن الناحية الوارثية (التكوينية) فهى ليست إلا عاملاً ثانوياً يتحكم فيه العوامل الثقافية ، ومن العلماء الذين يرجحون دور البيئة والثقافة فى تحديد نمو سلوك الفرد " مارجريت ميد " و " روث بنكت " ، وعلماء المدرسة السلوكية " واطسن " و " ثورنديك " و " كلارك هل " وأصحاب نظرية التعلم الاجتماعى " باندورا " و "

وولترز " ، وسوف نناقش فيما يلى هذه النظرية كمثال لهذا الاتجاه فى تفسير النمو .

- نظرية التعلم الاجتماعى :

وتسمى هذه النظرية أحياناً بنظرية " النمذجة " أو الاقتداء والتقليد ***Modeling Theory*** وقد ارتبطت باسم " ألبرت باندورا " وتقوم هذه النظرية على أن العوامل الثقافية تشكل النمو الاجتماعى من خلال تعزيز السلوك المرغوب فيه ومن خلال نماذج لسلوك الدور الملائم ، أى أن الفرد يستطيع إكتساب سلوك جديد تحت شروط معينة من خلال التعلم المباشر وبملاحظة الآخرين .

ومفهوم " النمذجة " قريب من مفهوم التقليد إلا أن النمذجة تتضمن قدراً أكبر من التأثيرات النفسية بين الفرد والنموذج أكثر مما هو موجود فى استجابات المحاكاة البسيطة المتضمنة فى مفهوم التقليد ومن هذا المنطلق فإن " باندورا " يرى أن الأبناء لا يسلكون طبقاً للتوجيهات اللفظية التى يسمعونها من آبائهم بقدر ما يسلكون طبقاً لما يرونهم من سلوكهم الفعلى والواقعى أمامهم عندما يتصرفون فى مواقف الحياة المختلفة ونحن نعرف فى حياتنا أهمية " القدوة " و"النموذج" فى التعلم(علاء الدين كفافى،١١١).

ويرى " باندورا " أن سلوك الفرد يتأثر بنموذج معين ، وهو فى هذا يتضمن عدداً من العمليات هى الانتباه والاحتفاظ وعمليات الدافعية أو التدعيم ، كما أن هناك عوامل معينة تشجع على حدوث عملية الاقتداء أو التقليد المتضمنة فى النمذجة وعلى رأسها تلك الشروط الحافزة التى تدفع الفرد إلى تقليد النموذج المعين ، وبعضها يخص الفرد المقلد والبعض الآخر يتعلق بخصائص النموذج المقلد نفسه .. ومن هذه العوامل أيضاً درجة بروز

النموذج ووضوحه أمام الفرد ونوع التدعيمات التى تترتب على السلوك النتائج خلال عملية الاقتداء بالنموذج .

ويفسر أصحاب نظرية التعلم الاجتماعى سلوك المراهقين على أساس القمع الثقافى والتوقعات الاجتماعية ، ويفترضون أن سلوك المراهقين هو نتيجة تربية الطفل الذى تعلم أدواراً ، فإن عملية التنشئة الاجتماعية هى المسئولة عن نمو الفرد سواء كان سوياً أو منحرفاً إذ ينبثق النمو من التنشئة الاجتماعية فى فترة الطفولة المبكرة ، ويظل مستمراً فى المراحل اللاحقة ، وعلى ذلك فإن النمو يكون مستمراً وهو يمثل حاصل التنشئة الاجتماعية وليس حاصل للنضج (هدى محمد قناوى ، ٢٩) .

ثالثاً : النظريات التفاعلية (البيو ثقافية) :

وينتمى إلى هذا الاتجاه أصحاب علم النفس الاجتماعى مثل " كيرت ليفين " (نظرية المجال) ، و " مظهر شريف " و " ألسون دافيز " و " روبرت هافجهرست " وكذلك الفرويديون الجدد مثل " كارن هورنى " و " هارى سوليفان " و " إريك إريسكون " صاحب النظرية التحليلية النفسية – الاجتماعية .

وتفسر هذه النظريات النمو فى مرحلة المراهقة على أنه ناتج عن التفاعل بين التأثيرات البيولوجية والثقافية ، وسوف نناقش فيما يلى نظرية أريكسون فى تفسير النمو تبعاً لهذا الاتجاه .

- نظرية أريكسون التحليلية النفسية / الاجتماعية :

يعد " إريك أريكسون " أحد الفرويديون الجدد ، وفى الوقت الذى التزام فيه بالجوهر العام للإطار الفرويدى ، فقد تخل عن المنحنى البيولوجى الصرف الذى تميز به هذا الإطار ، وبينما آمن بالمنطلقات الأساسية فى نظرية التحليل النفسى كما صاغها فرويد ، إلا أنه وجد أن فرويد قد

انحاز بدرجة ما إلى الجوانب البيولوجية على حساب الجوانب الاجتماعية والثقافية ، وكذا تحول عدد من تلاميذه عن بعض آرائه .

وقد اتجه الفرويديون الجدد إلى إحداث تعديلات فى النظرية التحليلية الأساسية ليزيدوا من قيمة العنصر الثقافى فى نمو الشخصية الإنسانية ويشير (علاء كفافى ، ٩٢ – ٩٣) إلى وجود ثلاثة اختلافات رئيسية بين" فرويد وأريكسون" تتمثل فى:

١- أن وظيفة الأنا عند " أريكسون" هى أكبر من مجرد مراحل النمو الجسمى كما يرى فرويد ، ولذا فإن أريكسون يعيد تشكيل مراحل فرويد التى يغلب عليها الطابع العضوى بحيث تفقد كثيراً من مضمونها الجنسى الأحيائى ويكسبها طابعاً اجتماعياً ثقافياً وذلك بدون أن ينفصل عن النموذج الفرويدى .

٢- أن أريكسون يقدم قالباً جديداً للطفل فى علاقته بوالديه فى الأسرة ، ثم فى إطار مكان الأسرة فى المجتمع بدلاً من القالب الضيق الذى صاغ فيه " فرويد " علاقة الطفل بوالديه والمتمثل فى المركب الأوديبى .

٣- إذا كان" فرويد " قد ركز فى نظريته على المخاطر التى يتعرض لها الفرد من جراء الضغوط الداخلية أو الضغوط الخارجية ، فإن إريكسون قد اهتم بتحديد فرص النمو التى تساعد الفرد فى التغلب على المخاطر التى أشار إليها فرويد ، وكأن إريكسون كان يقدم الحلول للمشكلات التى نجح فرويد فى تشخصيصها وتصويرها ، لذا فإن نظرية أريكسون أكثر تفاعلاً ، ويتضح ذلك فى اعتقاد إريكسون فى أن الفرد يستطيع فى المراحل التالية أن يتجه نحو النضج حتى لو صادفته عقبات فى المراحل المبكرة بعكس آراء فرويد التى جعل مستقبل الفرد كله رهينة بما يحدث فى السنوات الباكرة .

والنمو عند إريكسون مجموعة تغيرات تحدث فى المجالين البيولوجى والاجتماعى ، أو هو تفاعل بين الإمكانيات البيولوجية والأوضاع الاجتماعية المحيطة بالطفل ، ولذلك تسمى نظريته بالنظرية النفسية الاجتماعية ، والتغيرات النمائية مشكلة مستعصية على الحل ولكنها فقط تحول أقرب إلى مفهوم الفترات الحرجة .

وطبقاً لنظرية إريكسون فإن الطفل يواجه فى كل مرحلة أزمة عليها أن يواجهها ، ونجاحه فى مواجهة الأزمة يكسبه خبرة هامة تساعده على مواجهة الأزمة التالية والتى يفترض أنه سيكسب أيضاً من خلالها خبرة جديدة أخرى .

ويحدد إريكسون ثمان مراحل نفسية تعتبر فى حقيقة الأمر صياغة جديدة لمراحل فرويد على أساس فهم إريكسون للنمو باعتباره تفتحاً بيولوجياً وتكيفاً اجتماعياً فى آن واحد .

وتقابل المراحل الخمسة الأولى عند إريكسون مراحل فرويد التى تغطى فترتى الطفولة والمراهقة ، ثم يضيف ثلاث مراحل خاصة بفترة الرشد .

ويضع إريكسون كلمة " إحساس ***Sense*** " فى عنوان كل مرحلة إشارة إلى أن الشعور الوجدانى بالنجاح أو الفشل فى مواجهة الأزمة له تأثيره فى قدرة الفرد على مواجهة الأزمات التالية وفيما يلى عرض لمراحل النمو النفسى عند إريكسون :

١- مرحلة الإحساس بالثقة مقابل الإحساس بالشك :

بعد حياة الطفل الوليد كجنين فى بيئة تتميز بالدفء والحنان يواجه العالم الخارجى بمثيراته المختلفة عند ميلاده بإحساس من الترقب الذى ينطوى على مزيج من الثقة والشك ، ويصبح هذا الإحساس هو الثقة والشك ، ويصبح هذا الإحساس هو النقطة الحرجة فى هذه المرحلة الأولى للنمو .

ويرتبط تكون هذا الإحساس بالثقة شعور الطفل بالراحة الجسمية والتحرر النسبى من الخوف . والمصدر الأول لتنمية الثقة هو الخبرات التى تتعلق بتناول الطعام ، وبكلمات أخرى فحينما يشعر الوليد أنه يجد الطعام دائماً حين يطلبه ، فإنه يشعر بالأنس والثقة فيمن يحيطون به .

أى أن الخبرات العضوية للطفل توفر الشعور الأساسى لحالة من الثقة النفسية ، وتصبح الإحساسات العضوية هى الخبرة الاجتماعية الأولى ، وتعمم هذه الثقة على الموضوعات الأخرى فى عقل الفرد ويمكن الرجوع إليها فى المستقبل .

وهذا الإحساس بالثقة يمثل حجر الزاوية فى الصحة النفسية للفرد فى المستقبل ، وتدل الدراسات التى أجريت على العصابيين أنهم أشخاص حرموا من نوع التنشئة الذى يكون هذا الإحساس ، ولم يشعروا بالثقة فيمن حولهم ، بل وعمموا ذلك على العالم كله ، ويظهر فقدان الثقة بشكل جلى فى أطفال المؤسسات وعند من عاشوا فى غير أسرهم .

٢- الإحساس بالاستقلال الذاتى مقابل الإحساس بالخجل :

وتمتد هذه المرحلة من الشهر الـ ١٢ أو ١٥ إلى نهاية السنة الثالثة من العمر ، حيث يكون الطفل مدفوعاً بسبب قدرته على تعلم الكلام والمشى والنظام إلى الرغبة فى تحقيق الاستقلال والإحساس بأنه له إرادة خاصة به وفى نفس الوقت قادراً على استخدام مساعدة الآخرين فى المسائل الهامة .

ولكى ينمو هذا الإحساس لدى الطفل يحتاج إلى أن يحس بأن لديه حرية الحركة والاستطلاع والتصرف ، ويؤثر سلوك الأبوين فى تعليم الطفل مهارات الإخراج فى تكوين شخصيته فإذا اتسم هذا السلوك بالقسوة أو بدأ فى فترة مبكرة جداً ، فقد الطفل الفرصة التى يستطيع من خلالها تكوين الإحساس بالاستقلال ، بل أنه يكون أقرب إلى الإحساس بالخجل .

ونجد أن الإحساس بالاعتماد على الذات والكفاءة أو ما يعرف بالاستقلال يواكبه نمو فى العلاقات الاجتماعية لديه ، حيث يكون فى مقدوره الاختيار بين الجلوس والوقوف والاقتراب من الأصدقاء والأقارب وهو يستخدم إرادته فى ذلك وهو فى سبيل ذلك يواجه بتوجيهات وأوامر لا حد لها من الراشدين ويقضى فترة طويلة حتى يستطيع التمييز بين ما هو مقبول وما هو ممنوع .

وينبغى على الراشدين أن يساندون الطفل فى هذه المرحلة فى رغبته فى القيام ببعض المهام التى يريد أداءها فى محاولة الاستقلال بنفسه حتى لا يسيطر عليه الإحساس بالخجل من جراء الإسراف فى تحديد حريته.

٣- الإحساس بالمبادأة مقابل الإحساس بالذنب :

وتمتد هذه المرحلة من سن ٤ – ٦ سنوات ، وتتمثل أزمة هذه المرحلة فى رغبة الطفل فى العمل بإرادته والاختيار بنفسه دون التعرض للإحساس بالذنب أو الإثم ، حيث يرغب الطفل فى إظهار مهاراته وقدراته والإقبال والتدخل مع الآخرين وجعلهم ينخرطون فى سلوكه هو ، أى أن سلوكه يتسم بطابع المبادأة من جانبه والمشاركة بفعالية فى الجماعية وأنشطتها .

وتتسم علاقة الطفل بالراشدين فى هذه الفترة بالاقتحام والاندفاع فى حياة الناس ، ورغبة الطفل فى استكشاف كل المجالات المجهولة لديه ومشاركة الآخرين ومواجهتهم ، ويتطلب تنمية الإحساس بالمبادأة لدى الطفل توفر فرص النشاط والحركة له ، وتشجيعه حيث يقوم بأعمال ، وحين يستخدم خياله فى الحديث أو اللعب ، وعدم الإفراط فى تأنيبه .

ويريد الطفل فى هذه المرحلة أن يحس بقدرته على القيام بالأعمال كما يقوم بها الكبار ، فإذا منعناه وإذا قيد خياله ، أو تعرض للوم والتقريع

على ما يقوم به من نشاط ، فقد ينتج عن ذلك تكوين " أنا أعلى " صارم لديه . وإذا منع الطفل من عمل شئ فقد يمنع نفسه من التفكير فيه ، لأن هذا التفكير يقربه من الفعل المحظور مما يسبب له الشعور بالذنب والقلق .

٤ – الإحساس بالإنجاز والكفاءة فى مقابل الشعور بالنقص :

وتمتد هذه المرحلة من السادسة حتى البلوغ ، وتقابل مرحلة " الكمون " عند فرويد ، وفى هذه المرحلة يدرك الطفل أهمية أن يجد له مكانة مرموقة بين أقرانه من خلال إنجاز أعمالاً حقيقية تؤدى إلى تحقيق ذاته فى جماعته ومن خلال السيطرة على المشكلات الاجتماعية بنجاح حتى لا يتخلف عن أقرانه بل ، ويفوقهم .

ويجد الطفل نفسه مطالباً فى هذه الفترة ببذل كل جهد ممكن فى الإنتاج والدراسة مدفوعاً بالخوف المستمر من أن يصبح أقل منهم جودة أو أن ينظر إليه الكبار على أنه لا يزال طفلاً ، وإذا لم يستطع الطفل أن يحقق توقعات الكبار منه أو يحتل مكانة مرموقة بالمقارنة بأنداده فقد إحساسه بالثقة فى النفس ، وتمكن منه الشعور بالنقص والدونية .

ولذا فمن الهام خلال هذه المرحلة أن نكلف الطفل فقط بالأعمال التى تناسب قدراته ومستوى نموه حتى نحقق له الإحساس بالإنجاز ، وأن نثنى عليه أعماله مما يشجعه على بذل المزيد من الجهد .

٥ – الإحساس بالذاتية مقابل الإحساس بتميع الدور أو التباسه :

وتبدأ هذه المرحلة مع المراهقة وتؤثر للتغيرات الجسمية والفسيولوجية على إحساس المراهق بهويته أى من هو ؟ وما دوره فى المجتمع ، وما هى قدراته وإمكانياته ، وكيف يمكن استغلالها ، وفى هذه المرحلة يراجع المراهق كل ما تعلمه فى المراحل السابقة بروح ناقدة وعقل ناقص ويجد المراهق راحة فى تشبهه مع أقرانه ، وتتسم علاقته مع غيره من المراهقين بالتسامح ، فى

حين تفتقد علاقته مع الراشدين إلى هذه الروح ، وذلك كأسلوب دفاعى عن كيانه المهتز وذاته المتغيرة .

والأزمة التى تميز هذه المرحلة هى تميع الذات أو تشتتها أو ما يسمح بأزمة البحث عن الهوية ، ففى تلك المرحلة تختلط الأدوار التى يتطلع المراهق لاختيارها ، فهو يريد أن يحقق دور الراشد المستقل عن الأسرة ، والزميل المخلص لقيم الأصدقاء ، وفى نفس الوقت الابن الطيب فى أسرته بلا شك أنها أزمة حقيقة تواجه المراهق للتوفيق بين التوقعات المختلفة لهذه الأدوار .

وقد ينجح المراهق فى بحثه عن هويته أن يوفق بين هذه التوقعات ، وبذلك يتجاوز هذه الأزمة ، وتتشكل هويته ، ويستطيع المراهق الذى تكونت لديه مقومات المرحلة السابقة على نحو طيب أن يتجنب خطر تميع الذاتية وتشتيتها ، ومع حقيقة أن تكوين الإحساس بالهوية ليس سهلاً ، إلا أنه قيمة كبرى فى الحياة النفسية للمراهق ، وله دور كبير فى تحقيق توافقه فى المجتمع .

- وقد تظهر هوية المراهق بإحدى طريقتين :

فقد تظهر بطريقة إيجابية فى مسئوليته نحو الجماعة التى ينتمى إليها محاولاً أن يقوم ببعض الخدمات أو الإصلاحات بهدف النهوض بأفراد تلك الجماعة نتيجة لعمله الإيجابى النافع .

وقد ينحرف ويختار طريقة سالبة مضادة للمجتمع خاصة عندما يشعر بنوع من التعويق أو الإحباط المتنال من جانب الراشدين الذين يعاشروهم أو يتعامل معهم ، ويكون تبنى المراهق لهذه الهوية السالبة هو بمثابة محاولة يائسة من جانبه لاستعادة بعض السيطرة على هويته بدلاً من أن يظل معدوم الهوية ، وهو يريد أن يرى صورته كجزء محسوس فى مجتمعه ، لذلك يحاول أن يثبت ذاته وهويته ولفت الأنظار إليه .

ويشير إريكسون (إبراهيم قشقوش ، ١٠٣) إلى الحركة العالمية الانتشار التى ينخرط فيها كثير من الشباب ممن يبدون ذوات سالبة ويسخرون عن طريق الملابس التى يرتدونها من جيل الأفراد الأكبر منهم ، وهو ذلك الجيل الذى يضم أفراداً راشدين يتطرفون فى تنميط مراهقتهم ويتحاملون على ذواتهم ويحدث ذلك عندما تفشل المجتمعات فى أن تدعم ذوات المراهقين المنبثقة النامية ، وذلك بسبب عدم قدرة هذه المجتمعات على أن تقدم لمراهقيها أدواراً ومطالب يستطيعون فيها أن يتقلبوا ذواتهم ، ويشعرون من خلالها بالتقبل والتقدير من جانب من يحيطون بهم .

ويجب على الراشدين هنا السماح للمراهق بأن يخبر ذوات جديدة أو يتعايش معها دون إلزامه بالاستقرار للأبد على ذاتيه بعينها ، وهذا يتطلب من الراشدين ضرورة تقبل حالة التقلب وعدم الاستقرار الطبيعية التى تنتمى لفترة المراهقة والتغلب عليها ، دون الإصرار المطلق من جانب الراشدين على دفع المراهقين أو إجبارهم على انتهاج نفس الطرق والأساليب التى سبق لهم أن عايشوها فى ماضيهم عندما كانوا هم مراهقين .

كما يجب عليهم من أجل اكتساب المراهق الإحساس بالهوية مراعاة استغلال ميول المراهق وقدرته فى تنمية شخصيته ، ومساعدته على شغل أوقات فراغه واستثمارها ، والعمل على إتاحة الفرصة أمامه للمشاركة فى خدمة مجتمعه ، مما يشعره بقيمته عند خدمة الآخرين ، وتدريبه على القيام بأموره الهامة ، وتنظيم خططه بنفسه .

كما أن إتسام المربين بالمرونة فى فهم وجهات نظر المراهق ، وفتح باب الحوار بينهم فيما يتعلق بالموضوعات والقرارات الهامة فى حياته بدلاً من اتباع أسلوب ، الوعظ والإرشاد ، وبذلك يتمكن المراهق من اكتساب الهوية الإيجابية (هدى قناوى ، ٤٤) .

ويجب أن يدرك المربى أن فائض الطاقة والشعور بالرغبة فى تأكيد الذات يدفعان المراهق إلى البحث عن دور اجتماعى مقبول يقوم به يكون متنفساً مشروعاً لرغبته ، ويرضى بحثه عن تأكيد الذات ويعطيه الدور القيادى المتميز الذى يسعى إليه ، وأغلب الصراعات التى تدور بين المراهق وأسرته ومدرسته ومجتمعه تتصل بهذا المطلب الحيوى الذى يرفض المجتمع أن يحققه له ، وإذا تم إدراك طبيعة وهدف المطلب أدى ذلك إلى تخفيف حدة التوتر بين الطرفين .

٦- الإحساس بالتآلف مقابل الإحساس بالعزلة أو الوحدة :

يترتب على اجتياز المرحلة السابقة بنجاح ، أن يكون الفرد فى هذه المرحلة من الرشد قادراً على إقامة علاقات التآلف والحميمية مع الآخرين من نفس جنسه أو من الجنس الآخر ، ويتبلور الإحساس بالتآلف فى نهاية مرحلة المرهقة إذا استطاع المراهق تكوين الإحساس بالهوية ، وتجنب الفرد فى هذه المرحلة للارتباط أو الاتصال بشخص آخر بتأثير الخوف من احتمال فقد الأنا يترتب عليه إحساس عميق الوحدة والعزلة ، وانهماك أو استغراق فى الذات .

وإذا لم تتيح للفرد فرصة إنشاء علاقات التآلف مع الآخرين فإنه يعيش عزلة نفسية ، وتظل علاقاته مع الآخرين سطحية ينقصها الدفء والتلقائية ، ويشير إريكسون (هدى قناوى ، ٤٥) إلى أن هدف الشباب فى هذه المرحلة يدور حول البحث عن الهوية بالانفصال عن الأسرة تمهيداً لاستقلال أسرى خاص به ، كما أن ممارسته لعمله فى هذه المرحلة تعد استعداداً وتدريباً يعطى فيه من علمه وتخصصه بعد أن اقتصر دوره قبلاً على الأخذ ، وجاء وقت العطاء للمجتمع أى أن هذه المرحلة تعد تتويجاً وتنفيذاً لما كان مؤجلاً فى المرحلة السابقة فيتحول مشكلة اختيار المهنة ورفيقة الحياة إلى الالتزام بممارسة هذا الاختيار وتنفيذه فى مجال الواقع الاجتماعى .

٧- مرحلة الإحساس الوالدى مقابل الإحساس بالإنطواء على الذات (الركود) :

فبعد ممارسة الشاب لاختياره فى مجال شريك الحياة والعمل فيستقر أسرياً ، ويختار العمل الذى يستطيع من خلاله تحقيق ذاته يتساءل : وماذا بعد ؟ ولكن يكون الشاب هذا الإحساس الوالدى لابد أن يكون قد وصل إلى مستوى كاف من النضج ويتضح هذا الإحساس فى الاهتمام بإنجاب الأطفال والعناية بهم ولب هذا الإحساس هو الرغبة فى حماية الطفل ، ورعايته والقدرة على البذل والعطاء له .

وعدم القدرة على تكوين هذا الإحساس يجعل الفرد أنانياً ، يميل إلى السلوك كطفل ينافس أقرانه فى الحصول على الرعاية وليس كشخص ناجح مسئول عنهم ، والاهتمام بأمر الجيل التالى يشمل إحساساً بالإنتاج ضمن الإحساس بالركود ، ويتضمن الإحساس بالإنتاج إحساساً بالأبوة والنظر إلى الأطفال على أنهم أمانة فى أعناق الوالدين يجب تحملها .

ويرجع فشل بعض الأفراد فى تكوين هذا الإحساس إلى افتقارهم فى طفولتهم للحب والعطف والرعاية ، وبذلك يعجزون فى رشدهم عن تقديم هذه العواطف للآخرين ، ويمكن أن نعزيه أيضاً إلى معاناة الفرد الراشد من الكثير من الظروف القاسية التى تشعر بالإحباط والفشل ، وتعجزه عن القيام بدوره الوالدى .

٨- الإحساس بالتكامل مقابل الإحساس باليأس :

تمثل هذه المرحلة نهاية مراحل العمر ، حيث تقل بالتدريج طاقة الفرد ، بعد أن اتصف بالعطاء والخصوبة فى المرحلة السابقة ، وإحساس الفرد فى هذه المرحلة بأنه قد حقق ما يصبو إليه ، وأن المثل العليا فى الثقافة التى يعيشها هى مثله العليا حقيقة لا اصطناعاً أمام الناس ، وتقبله لدوره فى

الحياة ، وإحساسه بالحب تجاه الآخرين بالرغم من إدراكه لعيوبهم كل هذا يشير إلى معنى التكامل .

أما إذا اخفق الفرد فى هذه المرحلة العمرية فى تكوين هذا الإحساس فهو يحس بالشك فى جدوى الحياة ، واليأس من عدم جدواه كإنسان منتج ، ويظهر السخط وعدم الرضا عن حياته ، ويود لو أتيحت له الفرصة لإعادة صياغتها من جديد ، وإحساس الفرد بالتكامل هو الذى يجعله لا يخاف الموت ويتقبله على أنه نتيجة طبيعية لاستكمال دورة الحياة .

وتحتل هذه المراحل الثمانية لنظرية إريكسون مكانة هامة فى مجال سيكولوجية الشخصية ، ولعل ذلك يرجع إلى أن صاحبها قد استطاع أن يتوصل إليها عن طريق استخدام أسلوب الملاحظة الكلينيكية ، كما استخدم نفس الأسلوب فى تحديد الملامح النمائية الخاصة بكل منها .

وتجد آراء إريكسون فى النمو الإنسانى تعضيداً ودعماً من جانب كثير من الباحثين .. ومن المسلم به الآن أن البحث عن الهوية أو الكينونة بعد فى الوقت الحاضر وأحداً من أهم مهام مطالب النمو فى فترة المراهقة وقد خطى إريكسون بالنظريات التفاعلية خطوات أبعد من خلال نظرته إلى المراهقة على أنها الفترة التى تفقد فيها صور قلق الطفولة التى ترتبط من وجهة نظره بأشكال السلوك غير المرغوب فيه ، بعضاً من قوتها وسطوتها ، وتصبح صورة الذات أثنائها موضع تحديد جديد بالرغم من أن هذا لا يعنى أن يحرز الفرد استقلالاً ذاتياً كاملاً فى طور المراهقة .

مظاهر النمو فى مرحلة المراهقة

أولاً : النمو الجسمى :

فى المراهقة يستعيد النمو الجسمى سرعته السابقة والتى كان عليها فى مرحلة المهد مما يؤدى إلى سوء التآزر الحركى وانخفاض التوازن البيولوجى الذى ينجم عنه سرعة التعب وقصر مدة الانتباه وقلة الاحتمال .

تزداد سرعة النمو الجسمى لدى البنات فيما بين سن ١٠ –١٤ وتصل أقصى سرعة للنمو الجسمى لدى البنات فى سن ١٢ سنة ويستمر النمو الجسمى لدى البنات حتى سن ١٨ سنة ، بينما يزداد معدل سرعة النمو الجسمى لدى البنين فيما بين سن ١٢ – ١٦ سنة ، ويصل أقصى سرعة فى سن ١٤ سنة ويستمر النمو الجسمى لدى البنين حتى سن ٢٠ سنة وعلى وجه العموم تصل أقصى سرعة للنمو الجسمى فى المرحلة الإعدادية بالمقارنة بمرحلة التعليم الثانوى ومرحلة التعليم العالى ، وقد تعزى هذه التغيرات إلى الهرمونات التى تفرزها الغدد الصماء لاسيما الغدة النخامية التى تستثير عدداً من هرمونات الغدد الأخرى كالدرقية والأدرينالية والتناسلية التى تفرز هرمون الذكورة

الأنـدروجين *Endrogens* هرمـون الأنوثـة أو السـتروجين *Estrogens* وتتفاعل هذه الهرمونات بعضها مع بعض محدثة تغيرات فسيولوجية وجسمية .

تتغير بعض ملامح الوجه وتزول ملامح الطفولة ويتضح عدم التناسق بين مكونات الوجه مما يجعل المراهق كثير النظر إلى نفسه ويتدرج الناشئ فى نموه إلى صورة رجل إن كان ذكراً والمرأة إن كانت أنثى فيعمق صوت الولد ويرق صوت البنت ، ويتعرض الجنسين نتيجة النمو السريع إلى فقر الدم ، ويزداد اتساع المنكبين عند الأولاد وزيارة نمو قوس الحوض لدى البنات استعداداً لوظيفتى الحمل والأمومة .

يتأخر توافق النمو فى الجهاز العضلى عن نمو الجهاز العظمى مقدار سنة تقريباً ، وهذا يسبب التعب والإرهاق للمراهق ، فنجده يشعر بالتعب ولو لم يبذل مجهوداً ، وهذا حاصل نتيجة لتوتر العضلات وانكماشها ، مع نمو العظام السريع وحركتها .

تحدث طفرة فى طول الجسم ووزنه – خاصة بالنسبة للهيكل العظمى – ويتعرض الفرد خلال هذه المرحلة ، ذكراً كان أو أنثى لمظاهر وتغيرات جسمية واضحة تصاحب الحدث الهام فى حياة الإنسان وهو البلوغ والذى يعنى انتقال الإنسان إلى سن الرشد والتكليف ، وهذه التغيرات تشمل جميع أعضاء الجسم الخارجية والداخلية ، بما فى ذلك القلب والرئتين ، والمخ فكل هذه الأعضاء ، تأخذ فى النمو الزيادة ، وتصل فى نهاية هذه المرحلة إلى مستوى النضج التام ، وتصاحب هذه التغيرات أحاسيس نفسية واضطرابات عصبية متعددة .

هذه المرحلة تتميز بظهور نشاط فائق ، وفترات خمول وفترات حساسية شديدة فى النشئ وتصاحبها حالات انفعالية واضحة ،

يجب على المربين حسن رعايتها وتوجيهها وفى بداية المراهقة تظهر أعراض اكتئابية ومشاعر سلبية نحو التصور الذاتى للتغيرات الجسمية .

فى المراهقة المبكرة – المرحلة الإعدادية أو المتوسطة يتميز النمو الجسمى فى هذه المرحلة بسرعته الكبيرة وفى المراهقة الوسطى – المرحلة الثانوية يعلق المراهقون والمراهقات أهمية كبيرة على النمو الجسمى ، ويتضح الاهتمام بالمظهر الجسمى والصحة الجسمية وفى المراهقة المتأخرة مرحلة التعليم العالى تعد هذه المرحلة قمة الصحة والشباب ، ويتضح النضج الجسمى فى نهايتها والجدول التالى يوضح متوسط أطوال وأوزان الأفراد فى مرحلة المراهقة .

متوسط أطوال وأوزان المراهقين

	المراهقة المبكرة			المراهقة الوسطى			المراهقة المتأخرة			
السن	١٢	١٣	١٤	١٥	١٦	١٧	١٨	١٩	٢٠	٢١
الطول	١٤٣.١	١٤٨.٢	١٥٣.٥	١٥٩.١	١٦٤.٦	١٦٧.٦	١٦٩.٣	١٧٠.٠	١٧٠.٦	١٧٠.٨
الوزن	٣٧.١	٣٩.٤	٤٤.١	٤٨.٨	٥٤.٢	٥٨.٨	٦٠.٤	٦٢.٥	٦٣.٦	٦٥.٧
الطول	١٤٧	١٥١.٢	١٥٤.٦	١٥٧.١	١٥٧.٥	١٥٧.٨	١٥٨.٨	١٥٨.٨	١٥٩.١	١٥٩.٣
الوزن	٣٩.٥	٤٤.٦	٤٦.٩	٥٠.٥	٥١.٤	٥٣.٨	٥٤.٣	٥٤.٤	٥٥.٦	٥٥.٨

فقى المراهقة المبكرة يزداد نمو العضلات والعظام وتزداد القوة العضلية وتظهر الفروق بين متغيرات النمو الجسمى ، وفى المراهقة الوسطى تتباطأ سرعة النمو الجسمى بالمقارنة بالمرحلة السابقة ، وتتحسن الحالة الصحية بصفة عامة وتزداد الحواس دقة وإرهاقاً كاللمس والذوق والسمع ويزداد الوزن والطول عند كلا الجنسين فى مرحلة المراهقة المتأخرة نعدل نسب الوجه وتستقر ملامح وجه الراشد ، ويزداد الطول زيادة طفيفة عند كل من الجنسين وتكتمل الأسنان الدائمة ، وفيما بين السنة النهائية فى المرحلة الثانوية وحتى

نهاية مرحلة التعليم العالى تظهر أربع أضراس تعرف باسم " أضراس العقل " وقد أسفرت نتائج بعض الدراسات إلى أن لتذبذب الهرمونات فى المراهقة تأثير فعال على السلوك عامة ، ويتباطأ النمو الجسمى وتزول علامات الإعياء ويكتمل النضج الجسمى والمظاهر الجسمية الدالة عليه .

النمو الفسيولوجي :

ويقصد به نمو الأجهزة الداخلية أثناء البلوغ وبعده حيث يحدث نمو للجهاز الدورى والتنفسى والهضمى والعصبى والغدد الصماء (المرتبطة بالنضج الجنسى) .

نمو الأجهزة الداخلية :

يقاس النمو الوظيفة للأجهزة الداخلية بما يسمى معيار الاستحالة الغذائية أى بقدرة الأجهزة المختلفة على تمثيل المواد الغذائية وتحويلها إلى دم وخلايا جديدة وإصلاح الخلايا التالفة ، وتزويد الجسم بالطاقة الحيوية الضرورية له ، وتخضع هذه الاستحالة الداخلية فى وظيفتها وعملها إلى نشاط الغدة الدرقية فى تنظيمها وتنسيقها فى الوظائف المختلفة .

الدورة الدموية :

يتضاعف وزن القلب خلال هذه المرحلة بتغير حجم الشرايين والأوردة مما يرتبط بتزايد الضغط تدريجياً وانخفاض النبض بتقدم العمر .

الجهاز التنفسى :

يزداد حجم الرئتين بسرعة فى هذه المرحلة وتزداد القدرة الحيوية لدى البنين عنها لدى البنات .

الجهاز الهضمى :

يزداد حجم المعدة ويزداد حجم قدرتها على الهضم مما يستلزم حصول المراهق على كمية كبيرة من الغذاء .

الجهاز العصبى :

ينمو الجهاز العصبى بصورة محدودة جداً ويقتصر النمو على الألياف فى الطول والسمك وتزداد الوصلات بين الألياف العصبية مما يسهم فى تطور التفكير وتعقيده لدى المراهق .

الـغـدد :

تضمر الغدة الصنوبرية والغدة التيموسية فى المراهقة وتنشط الغدد الجنسية ويظل هرمون النمو الذى تفرزه الغدد النخامية مؤثراً على النمو العظمى ، بينما يزداد نشاط هرمونات الغدة الدرقية فى بدء المراهقة وتقل فى نهايتها ، كما تسترجع الغدة الكظرية قوتها ووزنها ويزداد وزن الغدة التناسلية (أهميتها المبيضان عند الأنثى والخصيتين لدى الذكر) ويؤثر النشاط الغددى على جميع مظاهر النمو .

ثانياً : النمو العقلى والمعرفى :

الذكاء والقدرات :

يدل الذكاء على محصلة النشاط العقلى كله ، وتدل كل قدرة طائفية على نوع ما من أنواع هذا النشاط العقلى كما يبدو عند بعض الأفراد ، فالقدرة العددية مثلاً تبدو بوضوح فى قدرة بعض الأفراد على إجراء العمليات الحسابية الأساسية فى سهولة ودقة .

هذا وتختلف سرعة نمو الذكاء باختلاف مراحل النمو فيبدأ نمو الذكاء فى الطفولة المبكرة وتزيد سرعته فى الطفولة المتأخرة ويهدأ نموه فى أوائل المراهقة ثم يهدأ تماماً فى منتصفها ، ثم يستقر استقراراً تاماً فى الرشد مما يتيح الفرصة لظهور القدرات الطائفية كما بينا ذلك فى تحليلنا لنمو الذكاء خلال الطفولة .

ولقد أثبتت أبحاث فيرنون *F. E. Vernon* التى أجراها على عينة من الأفراد تتراوح أعمارهم بين ١٤ و ٢٠ سنة أن الذكاء العام يتناقص فى سرعته فيما بين ١٤ و ١٧ سنة وخاصة عند الفتيان الذين يتركون المدرسة فى هذا المدى من العمر ، وأن هذا التناقص يتأثر إلى حد كبير بالمستوى التعليمى الذى يحصله الفرد فى مدرسته فى سن مبكرة ، أى أن الذكاء ، كما نقيسه الآن يتأثر إلى حد كبير بالتحصيل المعرفى وذلك لعجزنا عن تنقية مقاييسه الحالية من شوائب التعلم والمعرفة ، ولكن المواهب أو القدرات الأخرى تظل فى نموها وتباينها وخاصة القدرات اللغوية ، والميكانيكية والمكانية أى قدرة الفرد على فهم الألفاظ واستخدامها ، وقدرته على حل الأجزاء الميكانيكية وتركيبها وقدرته على فهم الأوضاع المختلفة للأشكال الهندسية تظل فى نموها المطرد خلال المراهقة .

هذا ولقد أثبتت أبحاث الدكتور فؤاد البهى أن القدرات العقلية الطائفية ذاتها تنقسم فى أواخر المراهقة إلى قدرات أخرى متمايزة متنوعة فالقدرة المكانية التى اكتشافها الدكتور عبد العزيز القوصى عند الأطفال البالغين من العمر ١١– ١٣سنة والتى تتسع فتشمل قدرة الفرد على تصور حركة الأشكال الهندسة على سطح الورقة أو حركة المجسمات فى الفراغ الثلاثى، وتؤلف من هذه العمليات العقلية المختلفة قدرة واحدة انقسمت فى البحث الذى أجراه فؤاد البهى عام ١٩٥١ إلى قدرتين متمايزتين وخاصة فيما بين ١٦، ١٨ سنة وهكذا بدأ يتأكد أهمية القدرات العقلية الطائفية فى دراسة النمو العقلى للمراهق .

نمو العمليات العقلية :

١- عملية الإدراك :

يتأثر إدراك الفرد بنموه العضوى الفسيولوجى العقلى الانفعالى الاجتماعى ولهذا يختلف إدراك المراهق عن إدراك الطفل لتفاوت مظاهر نموهما وتدل أبحاث إسكالونا *S. Escalona* على أن الحساسية الإدراكية فى عتباتها العليا والدنيا تتأثر بالمجال الذى يهيمن على الفرد وبالمواقف المحيط به ، أى أن هذه الحساسية تخضع لمدى تفاعل الفرد مع مقومات هذا الموقف ولنوع ولشدة ولمستوى إدراكه له فمدى إدراك الطفل للأصوات المرتفعة والمنخفضة يختلف عن مدى إدراك المراهق لهذه العتبة الصوتية ، وهكذا تؤكد الأبحاث الحديثة أن إدراك الفرد للعالم المحيط به مظهر من مظاهر نموه .

هذا ويختلف إدراك الطفل عن اختلاف المراهق اختلافاً ينمو بالفرد نحو التطور الذى يرقى به المستوى الحاسى المباشر إلى المستوى المعنوى البعيد ، أى أن إدراك المراهق يمتد عقلياً نحو المستقبل القريب والبعيد ، بينما يتمركز إدراك الطفل – إلى حد كبير – فى حاضره الراهن .

والمراهق أقوى انتباهاً من الطفل لما يحدث ويفهم وأكثر ثبوتاً واستقراراً فى حالته العقلية ، وترتبط هذه الناحية من قريب بتطور قدرة الفرد على التركيز العقلى والانتباه الطويل .

وهكذا نرى أن إدراك الفرد يتطور من الطفولة إلى المراهقة ، فيمتد فى المستقبل ويتسع فى المدى ، ويعلو فى المستوى،ويهدأ بعد تحول وتقبل ويستقر بعد تذبذب وتشتت ، ويسفر فى هذا كله عن مظاهر النمو المختلفة ويتفاعل معها متأثراً بها ومؤثراًفيها .

٢- عملية التذكر :

تنمو عملية التذكر فى المراهقة ، وتنمو معها قدرة الفرد على الاستدعاء والتعرف ، وتقوى الحافظة ويتسع المدى الزمنى الذى يقوم بين التعلم والتذكر فيزداد تبعاً لذلك باع الذاكرة فى نوعه ومداه .

هذا وتؤكد الأبحاث الحديثة خطأ الرأى القائل بأن الطفولة هى المرحلة الذهبية للتذكر ، ذلك بأن التذكر أعقد من أن يشمله تعميم كهذا التعميم ، فالتذكر المباشر يختلف عن التذكر غير المباشر والتذكر الآلى يختلف عن التذكر المعنوى ، وهكذا يستطرد بنا التحليل إلى تباين المظاهر المختلفة للتذكر وإلى تأكيد نمو كل مظهر من مظاهره وإلى تعليل نتائج بعض الأبحاث الحديثة فى القدرات العقلية التى عجزت عن الكشف عن قدرة واحدة تهيمن على جميع هذه المظاهر.

هذا ويستطرد النمو بالتذكر المباشر حتى يبلغ ذروته فى السنة الخامسة عشر لميلاد الفرد ثم يضعف وينحدر فى سرعته وقوته ومداه ويظل التذكر المعنوى فى نموه طوال المراهق والرشد ويتأثر تذكر الفرد للموضوعات المختلفة بدرجة ميله نحوها أو عزوفه عنها ، واستمتاعه بها أو بغضه لها ، وبانفعالاته وخبراته المختلفة ولهذا تقل أهمية التذكر المباشر للأرقام والألفاظ فى قياسنا للذكاء كلما زاد عمر الفرد وكلما اقترب من الرشد .

٣- عملية التفكير :

يتأثر تفكير المراهق بالبيئة تأثيراً يحفزه إلى ألوان مختلفة من الاستدلال وحل المشاكل حتى يستطيع الفرد أن يكيف نفسه تكيفاً صحيحاً لبيئته المعقدة المتشابكة المتطورة مع نموه ولهذا نرى أهمية الخبرة الواسعة العريضة فى نمو التفكير المراهق،هذا وتؤكد أبحاث بروكس ***F.D.Brooks*** وغيره من العلماء أهمية هذه البيئة

فـى نمـو التفكيـر ذلـك بأنهـا تسـفر فـى جوهرهـا عـن نـوع ومـدى وشـدة المشكلة .

٤- عملية التخـيل :

يـرتبط التخيل بـالتفكير ارتباطـاً قويـاً خـلال مراحل النمـو المختلفـة ويـزداد هذا الارتبـاط كلمـا اقتـرب الفـرد مـن الرشـد واكتمـال النضـج وتؤكـد دراسـات فـالنتنر ***T. Valentiner*** الفـروق المختلفـة القائمـة بـين تخيـل الطفل وتخيل المراهق .

هذا وتقترب مفاهيم المراهقين فى مستوياتها العليا الصحيحة من التعمـيم الرمـزى ، ولهـذا يسـتطيع المراهـق أن يفهـم الخيـر والفضـيلة والعدالة بينمـا يعجز الطفل عن إدراكـه لهذه المفـاهيم المعنويـة كمـا بينـا ذلك فى تحليلنا لتفكير الأطفال .

وتؤكـد دراسـات ميلـر ***E. Miller*** وتـانر ***J. M. Tanner*** وغيرهمـا من الباحثين ميل المراهقين فـى حل مشاكله العمليـة والعقليـة إلـى فـرض الفروض المختلفـة وإلـى تحليـل الموقـف تحليـلاً منطقيـاً منسقاً ويصـطبغ اسـتدلال الفـرد فـى أوائـل مراهقتـه بالصـبغة الاسـتنباطية ، ثـم يتطـور بـه النمـو حتـى تغلـب الناحيـة الاسـتقرائية علـى اسـتدلاله ثـم ينتهـى بعـد ذلـك إلـى مرتبـة سـوية مـن المرونـة العقليـة التـى تهيئـه لمواجهـة الموقـف بالطريقـة المثلـى ، اسـتنباطاً كانـت أم اسـتقراء ، وهكـذا نـرى أن العـالم الفكرى للمراهق أكثـر تناسـقاً وانتظامـاً مـن عـالم الطفـل ، وأكثـر معنويـة وتجريـداً ، ولهـذا يسـتمتع المراهق بالنشـاط العقلـى ، ويلـذ لـه أن يمضـى وقتاً طويلاً فى فهمه الفكرى العميق لكل ما يحيط به .

ويتميز أسلوب المراهق بطابع فنى جمالى بينما يخلو أسلوب الطفل من هذا اللون الجمالى ، وتدل إجابات الفتيات على خيال خصب يفوق فى مراميه خيال الفتيان .

نمو القدرات الطائفية :

تكاد تجمع أغلب الأبحاث الإحصائية النفسية الحديثة على أن أهم القدرات الطائفية تتخلص فى :

١- القدرة اللفظية : وتبدو بوضوح فى مقدرة بعض الأفراد على فهم الألفاظ والتعبيرات اللغوية المختلفة ، ومعرفة مترادفات الكلمات وأضدادها فهى لذلك ترتبط ارتباطاً وثيقا بالأسلوب اللغوى للفرد ، وبثروته اللفظية وبفهمه الدقيق لتباين الألفاظ واختلاف معانيها.

٢- القدرة المكانية : وتبدو فى مقدرة بعض الأفراد على فهم الأشكال الهندسية المختلفة وإدراك العلاقات المكانية فى سهولة ويسر ، وتصور حركات الأشكال والمجسمات .

٣- القدرة العددية : وتبدو فى سهولة إجراء العمليات الحسابية الأساسية وخاصة عملية الجمع .

٤- قدرة التذكر المباشر : وتبدو فى مقدرة بعض الأفراد على استدعاء الأرقام والألفاظ استدعاء مباشر وقد تسمى بقدرة التذكر الآلى السريع .

٥- القدرة الاستقرائية : وتبدو فى سهولة اكتشاف القاعدة من جزئياتها.

٦- القدرة الاستنباطية : وتبدو فى سهولة معرفة الجزئيات التى تنطوى تحت لواء قاعدة معروفة .

٧- السرعة الإدراكية : وتبدو فى الإدراك السريع للأمور البسيطة فهى بهذا المعنى قدرة إدراكية .

تطور الميول ونموها :

تتأثر الميول فى تطورها بمراحل النمو المختلفة التى يمر بها الفرد خلال حياته ، فتخضع فى جوهرها لعمره الزمنى ولنسبة ذكائه ولجنسه ذكراً كان أم أنثى ، وللمستويات الاجتماعية والاقتصادية لبيئته :

١- العمر الزمنى :

تتميز الميول فى الطفولة المبكرة بأنها ذاتية المركز ، تدور فى جوهرها حول شخصية الفرد ذاته ، ثم تتطور مع مظاهر نموه الحركى ويبدو فى أنواع لعبه ، وفى ضروب هواياته المختلفة ، فيلذ له بادئ ذى بدء أن يلعب بالدمية الصغيرة أو بالكورة الملونة ثم يتطور به نموه الحركى حتى يهو اللعب بالدراجة فى طفولته المتأخرة ثم يتخفف من هذه النواحى ليميل فى مراهقته إلى الألعاب الرياضية ، فيهتم أولاً بممارستها ثم يتطور به الأمر حتى يكتفى بمشاهدتها ويتتبع أخبارها ، هذا وتتميز مرحلة المراهقة بوضوح الميول الجنسية والعقلية المهنية ولهذا تتخذ بعض هذه الميول أساساً للتوجيه التعليمى والاختيار المهنى .

وتؤكد أبحاث ديموك ***H. S. Dimock*** التى أجراها على ١٧٠٠٠ مراهق أن أهم ميول المراهقين تتلخص فى قراءة الصحف والمجلات والكتب والاستماع للبرامج الإذاعية ، ومشاهدة القصص السينمائى ، وقادة السيارة والألعاب الرياضية المختلفة ، وخاصة المصارعة وكرة السلة وكرة القدم ، وتدل نتائج هذا البحث على أن هذه الميول تتطور فى حياة المراهقة تبعاً لمظاهر نموه ، فيبدأ اهتمامه فى

فجر مراهقته بالألعاب الرياضية المختلفة ، ثم يتخفف منها نوعاً من خلال نموه ليهتم بميوله الأدبية ومطالعاته وحواره ومسيقاه التى ينصت إليها ومهنته التى يرغب فيها ويعد نفسه لها .

وتدل الدراسات التى قام بها بوروجيا *A. Porugia* على عينة من الأفراد تتراوح أعمارهم فيما بين ١١ – ٣٢ سنة على أن الميول الأدبية والدينية تزداد تبعاً لزيادة العمر الزمنى وأن الميول الخلقية والاجتماعية والمهنية تزداد بسرعة بعد ١٥ سنة وأن الميول الفنية تقف إلى حين عندما يبلغ عمر الفرد ١٣ سنة ثم تظل بعد ذلك فى زيادتها حتى يبلغ العمر ١٦ سنة وأن الميل للمخاطرة يهبط بعد ١٥ سنة وتقل بذلك سرعة نموه .

٢- الذكـــاء :

تدل الدراسات التى قام بها ثورنديك *R. L. Thorndike* ولويس *W. D. Lewis* على أن الميول تتأثر إلى حد كبير فى تطورها بدرجة ذكاء الفرد فالأذكياء يميلون فيما بين ٩ و ١١ سنة إلى قصص الحيوانات بينما يميل الأغبياء إلى نفس هذا النوع من القصص فيما بين ١٢ – ١٤ سنة ، ويميل الأذكياء إلى القصص الغرامية فيما بين ١٢–١٤ سنة ، بينما لا يميل إليها الأغبياء إلا بعد ١٤ سنة هذا وتتميز ميول الأذكياء بأنها متنوعة واسعة خصبة عميقة بينما تتصف ميول الأغبياء بالضيق والفقر والضحالة .

٣- الجنس والميل للقراءة :

تؤكد أبحاث إبراهات *WE. Eberhart* ولهمان *H. C. Lehman* أن الميل للقراءة يبلغ ذروته فيما بين ١٢ – ١٣ سنة ويميل بنوع خاص إلى قصص البطولة وتراجم العظماء ، ولهذا تسمى هذه المرحلة بمرحلة

عبادة البطولة ، ويميل أيضاً إلى الموضوعات التى تدور حلول المخاطر والرحلات وتهدف هذه المطالعة إلى إشباع روح المخاطرة والمغامرة والترحال عند الأفراد ثم تتطور موضوعات القراءة فيما بين ١٣ – ١٩ سنة ، وتتجه فى جوهرها نحو كسب المعلومات توطئة للتخصص التعليمى والمهنى .

وتدل دراسات تيرمان *M. Terman* وليما *M. Lima* على أن الذكور يميلون إلى قراءة الموضوعات التى تدور حول الآلات الميكانيكية والهوايات العلمية والاختراعات الحديثة وخاصة فيما بين ١٤ – ١٥ سنة وأنهم يميلون إلى قراءة الأخبار المحلية والعالمية وجمع المعلومات المختلفة فيما بين ١٥ – ١٦ سنة ثم يستطرد بهم النمو حتى يميلوا إلى القصص الغرامية فى أواخر المراهقة أما الإناث فيملنّ فى ١٤ سنة إلى القصص الغرامية ثم يتطور بهن النمو حتى يملنّ إلى القصص التاريخى والمسرحيات المختلفة والشعر العاطفى قبيل الرشد .

البيئة والميول المهنية :

تتطور ميول الفرد المهنية خلال المراهقة تبعاً لعمره الزمنى ولنسبة ذكائه ولجنسه ، وللمستويات الاجتماعية والاقتصادية لبيئته .

وتدل دراسات بستولا *C. Pistula* على أم ميل الفرد فى أوائل مراهقته يتجه نحو الجندية بصورها المختلفة ونحو السينما والألعاب الرياضية ، وغالباً ما يميل المراهق إلى أن يصبح ضابطاً أو نجماً من نجوم السينما أو لاعباً مشهوراً فى كرة القدم أو السلة ثم يتطور الأمر بالمراهق فيدرك إلى حد ما بعض آثار القوى الاجتماعية والاقتصادية التى تحدد له بعض مستويات حياته فيتخفف إلى حد كبير من أحرمه ،

ويميل إلى ما يتفق وقدرته وإمكانيته الاقتصادية وهكذا تتضح الميول المهنية فى إطارها الاجتماعى الصحيح ، ويتأكد ميل الفتى إلى الجندية على أساس صحيح أو إلى الطب أو القانون أوالهندسة أوالتدريس والمهن الأخرى تبعاً لميوله فى الزعامة وقيادة الجماعات البشرية أو غير ذلك من الميول العلمية الاجتماعية والميكانيكية وغيرها.

وهكذا تتأثر هذه الميول المهنية بمعايير الجماعة ومستوياتها الاقتصادية والثقافية وبيئته المنزلية والمدرسية وبخبرته واستعداداته وقدراته ونواحى نضجه ونموه العقلى المعرفى الانفعالى والاجتماعى .

رابعاً : النمو الانفعالى :

- مقدمة :

ترتبط الانفعالات ارتباطاً وثيقاً بالعالم الخارجى المحيط بالفرد عبر مثيراتها واستجاباتها وبالعالم العضوى الداخلى عبر شعورها الوجدانى وتغيراتها الفسيولوجية الكيميائية ويخضع ارتباطها الخارجى خضوعاً مباشراً لنمو الفرد فتتغير المثيرات تبعاً لتغير العمر الزمنى وتتغير الاستجابات تبعاً لتطور مراحل النمو وتبقى مظاهرها الداخلية أقرب إلى الثبات والاستقرار منها إلى التطور والتغير كما تدل على ذلك دراسات كول ***L. Cole*** .

المظاهر الانفعالية للمراهق :

ترجع الأصول الخصبة الدائمة لجميع الانفعالات إلى الطاقة الحيوية النفسية التى تتخذ لنفسها ألواناً مختلفة تتناسب ومراحل النمو التى يمر بها الفرد فى حياته المتطورة المتغيرة ولهذا تختلف المظاهر

الانفعالية للطفولة فى بعض معالمها ومناحيها عن المظاهر الانفعالية للمراهقة ، وتتميز انفعالات المراهق بأنها مراهقة سريعة الاستجابة ، وتميل إلى الكآبة والانطلاقة .

١- الرهافة :

يتأثر المراهق تأثراً سريعاً بالمثيرات المختلفة نتيجة لاختلاف اتزانه الغدى الداخلى ولتغير المعالم الإدراكية لبيئته المحيطة به فيرتطم عليه أمره وتسد عليه مذاهبه ومسالكه القديمة ، فهو لذلك لا يطمئن اطمئنان الطفل الساذج البرئ ، ولشدة ما يستجيب لتلك الانفعالات التى تثور فى أعماق نفسه ويبذل فى استجابته جهد نفسه ، وهو لهذا مرهف الحس فى بعض أمره تسيل مدامعه سراً وجهراً ويذوب أسى وحزناً وحينما يسمه الناس ينقد هادئ بعيد ، ولسرعان ما يشعر بالضيق والحرج حينما يتلو مقطوعة نثرية على جماعة فصله أو يلقى حديثاً أمام مدرسته .

٢- الكآبة :

يتردد المراهق أحياناً فى الإفصاح عن انفعالاته ، ويكتمها فى نفسه خشية أن يثير الناس ولومهم فينطوى على ذاته ويلوذ بأحزانه وهمومه وهواجسه ، ليصبح حائر النفس تقيل الظل يخادن نفسه وينأى عن صحبة الناس ، ولقد يسترسل فى كآبته حتى يشعر بضآلة أحلامه وآماله فى ضوء الحقائق اليومية فيخلد إلى التأمل هروباً من الواقع ويظل فى غلوائه حتى تثوب إليه نفسه حينما يجد فى هوايته وميوله ما يملأ به فراغه ويجد ما يخفف به آلام نفسه وكابة شعوره .

٣- الانطلاق :

يندفع المراهق أحياناً وراء انفعالاته حتى يسمى متهوراً يركب رأسه فيقدم على الأمر ثم ينخذل عنه فى ضعف وتردد ويرجع باللائمة

على نفسه ، ولذلك سرعان ما يستجب لسلوك الجمهرة الصاخبة الثائرة فى طيش قد يرمى به إلى التهلكة ، وقد تسيطر عليه أحياناً نزوة من نزوات انفعالاته فيقهقه ضحكاً عندما يسر إليه أحد رفاقه فكاهة عابرة وهما يستمعان إلى خبطة الجمعة أو يسيران فى جنازة شخص ما ، ثم يندم على فعلته ، يلوم نفسه وينقلب كئيباً يسوم نفسه خسفاً وذلاً وهواناً .

ولا تثريب عليه فى انطلاقه الانفعالى ذلك بأنه ظهر من مظاهر تأثره السريع وأثر من آثار طفولته القريبة ، وعلامة من علامات سذاجته البريئة فى المواقف العصبية التى لم يألفها من قبل وصورة من صور التخفف من شدة الموقف المحيط به ووسيلة لتهدئة التوتر النفسى فى مصل هذه المواقف الشاذة .

تطور انفعال الغضب فى المراهقة :

تتأثر مثيرات واستجابات الغضب فى تطورها بالعمر الزمنى وبالمواقف المختلفة المحيطة بالفرد وبنوع ومستوى إدراكه خلال مراحل نموه .

أ) تطور المدى الزمنى لانفعال الغضب :

تدل الدراسات التى قام بها ملتزر ***M . Meltzer*** على أن ٩٨٪ من حالات الغضب عند الأطفال لا تستمر أكثر من خمس دقائق ، بينما يبلغ متوسط المدى الزمنى لحالات الغضب فى المراهقة ١٥ دقيقة ويتراوح مدى هذه الحالات بين دقيقة واحدة وبين حوالى ٤٨ ساعة .

ب) مثيرات الغضب فى المراهقة :

يغضب المراهق عندما يشعر بما يعوق نشاطه ويحاول بينه وبين غاياته ، وعندما يشعر بالظلم والحرمان ، وعندما يتأثر مزاجه بالأمور الطبيعية الخارجية .

١- الإعاقة :

فهو يغضب عندما يفشل فى إصلاح دراجته أو دمية أخيه الصغير فيثور على الدراجة والدمية ويعبر بذلك عن غضبه ، وقد يغضب عندما يحال بينه وبين المذاكرة أو النوم أو عندما يوقظه أهله وهو لم يستمتع بنومه بعد ولم يأخذ منه كفايته وقد يغضب أيضاً عندما يصيبه الصداع وهو فى طريقة إلى الامتحان ، أى أنه يغضب على كل ما يعوق نشاطه ويحول بينه وبين بلوغ هدفه .

٢- الظلم والحرمان :

ويغضب المراهق عندما يظلمه الأهل والرفاق والمدرسون أو عندما يرى الظلم يقع على أسرته وعائلته ، أو عندما يرى قسوة الناس فى تعذيبهم للحيوانات والأطفال الصغار ، ويغضب أيضاً عندما يشعر بأنه قد حرم من بعض حقوقه ومميزاته أو عندما يعتدى أخوته على بعض ممتلكاته وحقوقه ، وقد يثور عندما لا يعترف والده بنموه وتطوره فيعاملانه كطفل صغير وكأنه لم يصبح مراهقاً بعد .

٣- المزاج :

يتأثر مزاج المراهق إلى حد ما بالعوامل الطبيعية الخارجية فيستجيب غاضباً للجو العاصف والبرد القارس ، وللحر اللافح ،

وللزوابع والأعاصير .

ج) استجابات الغضب فى المراهقة :

يتخفف المراهق من استجابات الطفولة خلال المراهقة حتى تكاد تتلاشى كلها فى الرشد ، ولا تبقى منها إلا ما يبدو منه عندما يضرب الأرض بقدمه أو يركل الأشياء الملقاة فى الحجرة أو الطريق ، وخاصة عند البنين أما البنات فإنهن قد يستجبن لغضبهن بالبكاء .

هذا وقد تتطور استجابات الغضب فى المراهقة وتتخذ لنفسها أشكالاً حركية ولفظية وقد تسفر عنها فى تغييرات الوجه ، وفى لوم المراهق لنفسه سراً وجهراً .

١- المظاهر الحركية :

ويبدو عندا يحاول المراهق أن ينفس عن غضبه بالنشاط الحركى المتباين ، وذلك عندما يذرع الغرفة جيئه وذهاباً فى ثورة واضطراب أو عندما يترك الدار ويهيم على وجهه فى الطرقات ، أو عندما يشغل نفسه بميل شاق يستنفذ جزءاً من طاقته الانفعالية الغضبية .

٢- المظاهر اللفظية :

يطرد النمو الانفعالى بالمراهق فيحفف من سلوكه العدوانى الحركى وتتحول استجاباته الغضبة إلى مظاهر لغوية تبدو فى خصومته ومناجاته فيبسط على النسا والأشياء والمواقف ألواناً متباينة من وعيده وتهديده وشتائمه وقد يرتج عليه القول ويطرب أمره إذ أشطت به حدة الغضب ولا يكاد يدرى لأمره مخرجاً .

٣- تعبير الوجه :

قد يكظم المراهق غيظه ويربأ بنفسه عن الضرب والشتائم ويرخى السر على ما يحتدم به صدره من الغيظ والغضب ولا يكاد يبدى من هذه الثورة الدفينة إلا وجهاً مربدا وسحنة عابسة ، وهكذا ليستجيب لرجاحة رأيه ورباطة جأشه ، ويصبر على ما أصابه حتى تثوب إليه نفسه .

٤- اللوم :

قد يقع فى حدس المراهق أنه مجحف ظالم ، مبطل ، غير محق ، فينحو على نفسه باللائمة ، ويمسها بنقد لاذع أليم ، ويتجه بغضبه نحو ذات نفسه ، وقد تسيل مدامعه من فرطا الألم لرقة حواسه ورهافة مشاعره .

٥- النية والفعل :

يحاور المراهق نفسه حواراً داخلياً صامتاً عنيفاً إبان غضبه ، لكنه يتخفف كثيراً من المظاهر الداخلية حينما يعلنها على الناس فى استجاباته الغضبية وتدل أبحاث مليتزر ***H. Meletzer*** على أن أعلى نسبة لهذه النوايا الداخلية تبدو فى رغبة المراهق فى البكاء والصراخ والوعيد والإهانة وإن أوسطها تبدو فى السخرية والعتاب والهرب ، لكن الاستجابات الخارجية الفعلية التى ترتبط ارتباطاً قوياً بهذه النوايا العدوانية لا تكاد تتجاوز ٤٪ وأن المظهر اللغوى الهادئ يبلغ ٤٠٪ ، وهكذا لا يسفر المراهق عن نواياه إلا بقدر ، ويخضع فى أنماط سلوكه لرقابة ضميره فهو لا يبين أو يفصح عن حقيقة غضبه وشدة ثورته إلا بما يتفق ومقومات الموقف المحيط به ومستوى تدريبه ونضجه.

خامساً : النمو الاجتماعى :

من خصائص النمو الاجتماعى فى مرحلة المراهقة المرحلة التى تقابل مرحلة التعليم الإعدادى أو المتوسطة الاستمرارية فى عملية التنشئة الاجتماعية والتطبيع الاجتماعى حيث يستمر تعلم واستدخال القيم والمعايير الاجتماعية من الوالدين والمدرسين إلى زيادة الثقة فى النفس والشعور بالأهمية وتوسيع الأفق الاجتماعى والنشاط والاتجاهات والأفكار والاهتمام بالأحداث الاجتماعية والعلاقات الاجتماعية .

ونلاحظ أن الاتصال الاجتماعى ينمى قدرة المراهق على الحديث ويوسع وجهات نظره ويزيد معلوماته العامة .

ويظهر الاهتمام بالمظهر الشخصى وتلاحظ النزعة إلى الاستقلال الاجتماعى وانتقال من الاعتماد على الغير إلى الاعتماد على النفس ، ويشاهد الميل إلى الزعامة ، والتوحد مع بعض الشخصيات والتى تعد مثلاً أعلى للشخصية ، وينمو الوعى والمسئولية الاجتماعية والوعى بالمكانة الاجتماعية ، والدور الاجتماعى ، ويشاهد التذبذب أحياناً بين الأنانية والإيثار ، ويلاحظ التآلف والتكتل فى جماعات الأقران والتى من خلالها يكتشف ذاته وقدراته ويقرر بعد ذلك الاستمرار معها أو الانتقال إلى جماعة أخرى من خلالها يؤكد ذاته وتشير الدراسات إلى التوتر والسلوك الاجتماعى والاكتئاب وعدم القدرة على مواصلة الاتصال الاجتماعى .

فى مرحلة المراهقة الوسطى :

مرحلة التعليم الثانوى تتضح الرغبة فى تأكيد الذات مع الميل إلى مسايرة الجماعة ويحدث تحقيق الذات من خلال تنمية الشعور بالألفة والمودة ويظهر الشعور بالمسئولية الاجتماعية والسياسية العامة والتعاون والتشاور والمحافظة على الجماعة وبذل الجهد فى سبيلها

واحترام أداء الواجبات الاجتماعية والميل إلى مساعدة الآخرين والاهتمام باختيار الأصدقاء ويزداد ولاء المراهق لجماعة الأصدقاء ففيها تشبع حاجاته النفسية الملحة والتى من النادر أن يستأنس المراهق بدونها وكذلك وجود التشابه فى الطبائع والأحاسيس ، علاوة على أن الرفقة اختيارية لا يلزم بها المراهق وإنما يحددها باختياره مع وجود عوامل مساعدة ومهيئة مثل الزمالة أو القرابة أو الجوار أو التخصص أو الجنسية ، ولا يرضى أن توجه إليه الأوامر أو النواهى والنصائح أمام رفاقه ، ويجاهد المراهق لتحقيق المزيد من الاستقلال الاجتماعى وتفتح الميول وتتنوع بين ميول نظرية وأدبية وفنية وعلمية وشخصية واجتماعية وثقافية ولا يخفى ما للميول من تأثير محرك للسلوك ، وتشاهد الرغبة فى مقاومة السلطة والميل إلى شدة انتقاد الوالدين والتحرر من سلطتهم ، ويلاحظ الميل إلى الزعامة الاجتماعية والعقلية والرياضية ويتميز الزعيم هنا بقدرته على شرح الأمور الغامضة ويعمل المراهق جاهداً على التحلى بخصائص الزعامة الجسمية والعقلية والانفعالية والاجتماعية التى تجعل أقرانه يختارونه كقائد لهم فى تفاعلهم الاجتماعى ، ويزداد الوعى الاجتماعى والميل إلى النقد والرغبة فى الإصلاح الاجتماعى .

والناشئ فى هذا الدور الاجتماعى يستطيع التعاون مع غيره والتنازل عن رأيه إن اقتنع بخطئه ، من هنا كان هذا الدور أفضل دور لتكوين الروح الاجتماعية الصحيحة ، روح التعاون والتسامح والوحدة والنظام والولاء للجماعة ، كما يميل للاستقلال فى الرأى وللاقتناع بالحجة ولا يرضى بأن تفرض عليه الأوامر والنواهى فرضاً ، ولذلك يجب أن يحترم المربى هذه النزعة الجديدة فتقيم له الحجة حتى يقتنع بما نراه صالحاً له وفى هذه المرحلة يتميز النمو الاجتماعى للمراهق بما يلى :

١- يبحث المراهق عن نموذج أو شخص يجسم فيه مثله العليا ويمكن أن يستغل ذلك فى دراسة الشخصيات المتميزة والأبطال والشخصيات وقادة الفكر .

٢- يميل المراهق إلى انتقاد من حوله ووالديه ومعلميه .

٣- الميل إلى الانتماء للجماعة وإلى التقليد أو التوحد مع أفرادها وهذا يتطلب إنماء روح التعاون وتقوية الشعور الاجتماعى .

٤- الاتجاه إلى التفكير فى الدين ومناقشة القضايا وأمور الدينية ، وهذا يتطلب إرشاد دينى صحيح ومبسط .

٥- الميل نحو الاستقلال عن السلطة والاعتداد برأيه والتمسك به والاعتماد على نفسه .

وفى مرحلة المراهقة المتأخرة : مرحلة التعليم العالى ينمو الذكاء الاجتماعى الذى يعنى القدرة على التصرف فى المواقف الاجتماعية والتعرف على الحالة النفسية للمتكلم والقدرة على تذكر الأسماء والوجوه وملاحظة السلوك الإنسانى والتنبؤ به من خلال أدلة بسيطة وروح الدعابة والمرح والرغبة فى توجيه الذات التى تبدو واضحة فى محاولة المراهق كسر أية قيود توضع على نشاطه ومحاولاته المستمرة لتحقيق الاستقلال فيلاحظ سعى المراهق لتحقيق التوافق الشخصى والاجتماعى وتنمو القيم لديه نتيجة تفاعله مع البيئة الاجتماعية ، ويزداد الاهتمام بمشكلات الزواج والعمل والمهنة والاعتزاز بالشخصية والمشاركة فى الواجبات ويصبح للمراهق فلسفة واضحة المعالم .

ويجنح المراهق نحو مشاركة الكبار أعمالهم والميل إلى العمل الصالح ومساعدة الغير ، والاشتراك فى الأندية والفرق الرياضية والكشفية ، ويشترك فى الدفاع عن الوطن .

أهم مظاهر النمو الاجتماعى :

يتميز النمو الاجتماعى فى المراهقة بمظاهر تختص بالتآلف مع الآخرين أو النفور والابتعاد عنهم .

أ) التآلف :

يميل المراهق للجنس الآخر ، ويثق بنفسه ويحاول تأكيد ذاته وتتسع دائرة التفاعل الاجتماعى للمراهق تبعاً لتتابع مراحل نموه وللجماعات المختلفة التى ينتمى إليها حتى يدرك حقوقه وواجباته وتخفف من أنانيته ، ويقترب بسلوكه من معايير الجماعة ويتعاون معهم فى نشاطه ومظاهر حياته الاجتماعية .

١- الثقة وتأكيدات الذات :

يتخفف المراهق من سيطرة الأسرة ، ويؤكد شخصيته ، ويشعر بمكانته ، ويحاول أن يرغم الأفراد المحيطين به على اعتراف له بهذه المكانة ، فهو لهذا فخور بنفسه يبالغ فى أحاديثه وألفاظه وفى ذكر مستوى تحصيله ، وغرامياته ، وفى العناية الفائقة بمظهره الخارجى ليجذب انتباه الناس إليه .

٢- الخضوع لجماعة النظائر :

يخضع المراهق لأساليب أصدقائه وخلانه وأترابه ومسالكهم ومعاييرهم ونظمهم ويصبح بذلك عبداً لجماعة النظائر التى ينتمى إليها ، رغم تحرره من أِرته التى نشأ فيها أى أنه يتحول بولائه الجماعى من الأسرة إلى النظائر ، ثم يمضى بعد ذلك فى تطوره فيتخفف من هذا الولاء قبيل رشده واكتمال نضجه .

٣- البصيرة اجتماعية :

قد يستطيع الفرد فى مراهقته أن يدرك العلاقات القائمة بينه وبين الأفراد الآخرين ، وأن يلمس ببصيرته آثار تفاعله مع الناس ، فرب كلمة هو قائلها قد تثير حوله عاصفة من النفور ، وأن تضفى

على الحياة جواً من الألفة فهو لهذا قد ينفذ ببصيرته إلى أعماق السلوك ويلائم بين الناس ونفسه .

٤- اتساع دائرة التفاعل الاجتماعى :

وتزداد آفاق الحياة الاجتماعية للفرد للتتابع مراحل نموه وللجماعات المختلفة التى ينتمى إليها خلال هذا التطور ، وهكذا يتصل من قريب وبعيد بالأفراد المختلفين ، فتسع لذلك دائرة نشاطه الاجتماعى ، ويدرك حقوقه وواجباته ويتخفف نوعاً من أثرته وأنانيته ، ويقترب بسلوكه من معايير الناس ويتعاون معهم فى نشاطه ومظاهر حياته الاجتماعية الخصبة الغنية .

ب) النفور :

تهدف مظاهر النفور فى جوهرها إلى إقامة الحدود بين شخصية المراهق وبين بعض الأفراد والجماعات التى كان ينتمى إليها ويتفاعل معها ليقيم بذلك إطار ذاته ، وأركان تمايزه ودعائم شخصيته .

وتتلخص أهم هذه المظاهر فى تمرد المراهق على الراشدين ، وسخريته من بعض النظم القائمة وتعصبه لآرائه وآراء أقرانه ومنافسيه وأنداده .

١- التمرد :

يتحرر المراهق من سيطرة الأسرة ليشعرها بفرديته ونضجه واستقلاله ، وقد يغالى فى هذا التحرر ، فيعصى ويتمرد ويتحدى السلطة القائمة فى أسرته ، وكأنه يثور على طفولته التى كانت تخضع وتنقاد لأوامر أهله ونواهيهم

٢- السخرية :

يتطور إيمان المراهق بالمثل العليا البعيدة تطوراً ينحو به أحياناً نحو السخرية من الحياة الواقعية المحيطة به لبعدها عن هذه المثل التى يؤمن بها ويدعو إليها ، ولكنه يقترب شيئاً من الواقع كلما اقترب من الرشد واكتمال النضج ، ويهبط من السماء الخالية التى كان يحلق فيها فى بدء مراهقته إلى الحياة اليومية التى تصطخب من حوله .

٣- التعصب :

يزداد تعصب المراهق لآرائه وللمعايير جماعة النظائر التى ينتسب إليها ولأفكار رفاقه وأساليب وخاصة فيما بين ١٢ و ١٦ سنة ثم تقل حدة هذا التعصب بعد ذلك كلما اقترب من الرشد ، وهو يتأثر فى تعصبه هذا بعوامل عدة تنشأ فى جوهرها من علاقته بوالديه وبأنماط الثقافة التى تهيمن على بيئته وبالشعائر الدينية التى يؤمن بها وبالطبقات الاجتماعية التى ينتمى إليها ، هذا وقد يتخذ التعصب سلوك عدوانياً يبدو فى الألفاظ والنقد اللاذع والنشاط الجامح .

٤- المنافسة :

يؤكد المراهق مكانته بمنافسته أحياناً لزملائه فى ألعابهم وتحصيلهم ونشاطهم ، والمغالاة فى المنافسة الفردية تحول بينه وبين الوصول إلى المعايير الصحيحة للنضج السوى ، وخير للمراهق أن يرتفع بأنماط المنافسة وأساليبها حتى تستقيم أموره مع الأوضاع الاجتماعية والسوية فيتحول من المنافسة الفردية إلى المنافسة الجماعية التى تهيمن عليها روح الفريق وما تنطوى عليه هذه الروح من تعاون بين الأفراد .

تطور السلوك الاجتماعى فى المراهقة

يختلف السلوك الاجتماعى للمراهقين عن سلوك المراهقات فى بعض النواحى وفى تتبع بعض مظاهره ، ولهذا سنحاول فى الفقرات التالية أن نبين الفروق الجنسية فى هذا التطور .

أ) تطور السلوك الاجتماعى للمراهقين :

تتلخص أهم الخطوات الرئيسية للنمو الاجتماعى عند المرتقين فى المراحل التالية :

١- مرحلة التقيد :

وتبدأ هذه المرحلة عندما يبلغ عمر الفرد ١٢ سنة وتوشك أن تنتهى فى الخامسة عشر من عمره ، وتتميز بفرط إعجاب المراهق بزملائه الشجعان الأقوياء الأذكياء الذين يتفرقون فى ألعابهم ودراساتهم أو الذى يتزعم أقرانه وزملاءه فهو لذلك ينتقل فى تطوره هذا من إعجابه بأبيه إلى إعجابه بزعيمه ، ويحاول جهد طاقته أن يقلد هؤلاء الأفراد وأن يقتدى بهم فى سلوكه .

٢- مرحلة الاعتزاز بالشخصية :

وتبدأ بعد الخامسة من العمر وتتميز بمحاولة المراهق الانتصار على زملائه فى ألعابه ، وبمغالاته فى منافستهم ، وبميله أحياناً إلى السلوك العدوانى وبجرأته التى تتحدى بعض المخاوف القائمة ليؤكد بذلك شخصيته ومكانته ويبرهن على قوته وشجاعته.

٣- مرحلة الاتزان الاجتماعى :

وتبدو فى أواخر المراهقة ، وقبيل البلوغ وتبدو فى تخفف المراهق من العصيان والاندفاع والتهور ، وفى نظرته الجديدة لهذه الأمور على أنها أعمال صبيانية لا تدل إلا على القصور والعجز .

ب) تطور السلوك الاجتماعى للمراهقات :

تتلخص أهم المراحل التى تمر بها الفتاة فى نموها الاجتماعى من باكورة مراهقتها فى المراحل التالية :

١- مرحلة الطاعة :

وتبدأ هذه المرحلة قبيل المراهقة وتمتد حتى أوائلها ، وتبدو مظاهرها الأساسية فى خضوع المراهقات لمعايير الراشدين من الأهل والأقارب ، وهكذا يتصف السلوك الاجتماعى للمراهقات بالطاعة ودماثة الخلق والوداعة والرصانة والحياء والخفر والتظاهر بالحشمة ، طمعهاً فى إرضاء الأهل والوالدين .

٢- مرحلة الاضطراب :

تمتد هذه المرحلة من أوائل المراهقة حتى الخامسة عشرة من العمر وتتميز بالاضطراب الانفعالى واختلال الاتزان فتبلغ الفتاة فى استجاباتها للمثيرات الهادئة ، وتنفجر ضاحكة أو تثور غاضبة للأمور التافهة ، ثم تستطر بعد ذلك إلى الكآبة اليائسة الحزينة ، أو تبالغ فى الاهتمام بنفسها ومظهرها ثم ترعوى وتعود سيرتها الأولى .

٣- مرحلة تقليد الفتان :

وتبدأ فى الخامسة عشرة من العمر وقد تمتد إلى السادسة عشرة أو السابعة عشرة وتبدو فى تقليد الفتيان فى السلوك والزى والحوار ، ولقد استرعت هذه المظاهر الغربية بعض الفلاسفة المحدثين ، وفريقاً من علماء التحليل النفسى فذهبوا إلى أن الحياة فى صورتها العامة تنحو دائماً القوة وأن الرجولة مظهر هذه القوة ، لهذا تقلد المرأة العصرية الرجل فى كثير من أموره فتحاول أن ترتدى زيه وأن تزج بنفسها فى المغامرات التى اشتهر بها منذ فجر التاريخ ، وأن تدخن كما يدخن الرجال سواء ، ومهما يكن من أمر هذه المذاهب والآراء فلا جرم أن الفتاة تمر فى تطورها

الاجتماعى بهذه المرحلة ، وقد يقف بها النمو عندها فتتخذ لنفسها بعد ذلك أساليب الرجال فى الحياة .

٤- مرحلة الاتزان الاجتماعى :

وتبدأ فى أواخر المراهقة وقبيل الرشد ، وتبدو فى استجابة الفتاة للمعايير الأنثوية الصحيحة فى السلوك وفى زيها وحديثها وأنماط حياتها ، والخصومة ، ويحاول جذب انتباها لآخرين بفرض نشاطه وحركته وهو يسفر بذلك كله عن تكيف اجتماعى مريض شأنه فى ذلك شأن الطفل المدلل ، سواء بسواء ويرجع هذا كله إلى مغالاة الوالدين والأهل فى نقده وتخويفه ، وضربه وعقابه ، وإلى إهمال وتفضيل أحد أخوته عليه ومطالبته دائما بما هو فوق طاقته ، وإلى حبسه وسجنه بما هو فوق طاقته ، وإلى حبسه وسجنه فى إحدى الحجرات المغلقة وإلى تهديده بالطرد وإلى حرمانه من العطف والحب والحنان .

وهكذا تحتاج النشأة الصحيحة للمراهق إلى طفولة سوية تحيا فى جو لا يدللها أو ينبذها ، وإنما يستقيم بها بين الطرفين دون تفريط أو إفراط .

ذروة الخلافات بين الآباء والأبناء :

يصل الخلاف بين الوالدين وأبنائهم المراهقين إلى أشده فى المراهقين المبكرة أى فى المرحلة من ١٣ إلى ١٧ سنة وترجع شدة الخلاف إلى إصرار الآباء والأمهات على معاملة أبنائهم على أنهم مازالوا أطفالاً ، وعلى مطالبتهم فى الوقت نفسه بأن يتحملوا المسئولية وأن يسلكوا فى حياتهم مسلك الكبار وتتزايد حدة هذه الخلافات حتى تصل إلى نهايتها العظمى فيما بين ١٤ و ١٥ سنة ثم تهدأ حدتها بعد ذلك بالتدريج .

وكما ينفر الأبناء من أبنائهم يتضايق الآباء من أبنائهم وذلك لأن المراهق فى هذه المرحلة من حياته يصبح صعب المراس لا يأبه للمسئولية ، ويميل للمبلغة يثور لأتفه الأسباب لا يثبت على حال .

وترجع أسباب الخلاف بين المراهقين وآبائهم إلى ثلاثة عوامل رئيسية هى :

أولاً : ما يفرضه الآباء من قيود على المراهقين لإقرار الحزم وتدريبهم على النظام ، وما يصحب هذه القيود من ثورة المراهقين عليها ورفضهم إياها وهم يحدثون بذلك إنهم تجاوزوا هذه القيود الصبيانية التى يجب ألا تفرض عليهم .

ثانياً : مبالغة المراهق فى نقده لوالديه ولأخوته ولحياته العائلية والآباء الذين ضحوا فى سبيل أبنائهم ليحققوا لهم حياة كريمة يرون فى هذا النقد نوعاً من العقوق .

ثالثاً : ينبع من نوع الحياة الاجتماعية التى يحياها الفرد فى مراهقته وخاصة فى اختلاط المراهق بالجنس والأماكن الغريبة التى يرتادها ، والملابس الشاذة التى يرتديها وحاجته الملاحة لمزيد من المال ليتابع هواياته ويسيار بذلك نزوات رفاقه .

نهاية الخلاف وتحول النزاع إلى وفاق :

تتحول علاقات الأبناء بآبائهم من النزاع إلى الوفاق فى المراهقة المتأخرة التى تبدأ عندما يصل عمر المراهق إلى ١٧ سنة وتمتد أوائل الرشد ٢١ سنة ، وذلك عندما يدرك الآباء أن أبنائهم المراهقين قد اقتربوا من الرشد ولهم حقوقهم ولهم كما

أن علـيهم أن يتحملـوا بحـق واجبـات هـذه الحقـوق مـن مسـئولية إلى سلوك متزن جاد عاقل رصين ، وعندما يغير الآباء موقفهم من أبنائهم يسود البيت وفاق وهدوء بعد أن كانت ميدان نزاع وخلاف .

ويتقبـل المراهـق أخوتــه الصـغار ولا يـأنف مـن سـلوكهم الصبيانى ويصبح أكثر إدراكاً وفهما لمشكلاتهم ويعاملهم بروح الأخ الكبير التـى تنطوى علـى مـا يشـبه شـعور الأب بأبنائـه الصـغار لا بأخوته المشاغبين .

وكلما زاد الوفاق بين المراهق وأبيه ، زاد تبعاً لذلك تقمص المراهق لدور الأب فى علاقاته مع أخوته الصغار .

ويزداد توافق الابن المراهق مع دوره الجديد فى الأسرة أكثر من توافق البنت ، وذلك لأن دور الابن المراهق أكثر وضوحاً فى المجتمعات الراهنة من دور البنت ولأن الدور القيادى للرجل أكثر شيوعاً من دور المرأة ولذا يسبق الولد البنت فى التحول من النزاع إلى الوفاق لأن فى هذا التحول ما يشبع رغبات الولد مما يشبع رغبات البنت .

سادساً : النمو الخلقى وعلاقته بالنمو الاجتماعى :

يرتبط النمو الخلقى ارتباطاً وثيقاً بالنمو الاجتماعى ، ويخضع تطوره لمدى علاقة الفرد بالمعايير والقيم السائدة ، ويرتبط من ناحية أخرى بالنمو الدينى وبمدى علاقة الفرد بالشعائر والطقوس والحرمات وبمدى استجابته لمستويات الخير والشر ، ويعتمد إدراك الفرد للأفراد الآخرين وتقديره لهم ومودته إياهم وأمانته على ما يؤتمن وولائه لمن ينتمى إليه على مدى تخففه من أثرته ومدى عطفه على جماعته وإيمانه بمبادئه ، وقديماً قال ابن المقفع : " من جهل قدر نفسه فهو بقدر غير أجهل " ، ولقد ألمح الجاحظ فى بعض كتاباته عن الخلق

الطيب بقوله : " اللهم إنا نعوذ بك من العجب بما نحسن " وهو بهذا يؤكد سجية التواضع إرضاء لاستقامة العلاقات الاجتماعية فى مجتمع يأبى على أفراده المغالاة فى أنانيتهم والجنوح بالفردية عن مستوى الجماعة .

ولقد بين ببرى *R. B. Perry* أهمية القيم الخلقية فى التطور الاجتماعى للفرد وللجماعة ولمستقبل النوع الإنسانى والحضارة القائمة فأكد أن المراهق فى عصرنا هذا يحيا فى عالم تضطرب فيه الحقائق العلمية العقلية ، وتتباين تبايناً شديداً فى اتصالها المباشر وغير المباشر بالقيم الخلقية والمثل العليا الإنسانية ، ولهذا يحاول الفرد أن يزاوج بين عقل أجدبت عاطفته ، وعاطفة تأخرت عن عقله ، وينآد فى مسلكه لحضارة كادت أن تسمو بالعقل إلى أوجد ذروته وعاشت ناعمة فى ظلال التطور المادى الحديث ولم تستطيع أن ترقى بأخلاقها إلى هذا المستوى العلمى الذى بلغته ولن تستقيم أمور هذا العالم إلا عندما يدرك حاجته إلى التقدم الخلقى العالمى كما أدرك حاجته إلى التقدم العلمى الراهن ، لقد أطلق المادة من عقلها ، وصنع لنفسه عملاقاً جديداً وأن له أن يسمو بأهدافه وغاياته إلى المستوى الذى يستطيع به أن يخضع هذا العملاق لمعايير الخير العليا العالمية ، وللمثل الإنسانية الخالدة .

وهكذا يخضع المراهق من قريب وبعيد لمحنة الحضارة الراهنة فى حروبها وافكها وترهاتها ويحيا بين قوم يقبلون على الدنيا ويذمونها ، ويرشونها صبراً لينتصروا على آلامها أو يثورون فى وجهها عند تثقل عليهم بجورها وظلمها ، فيحاول أن يدرأ عن نفسه الشبهات ، وأن يؤالف بين عقله وقلبه وبين علمه وخلقه حتى لا تتناقض مذاهبه ، ولا تتنافر مسالكه ، وحتى يطمئن إلى

بيئتـه ويـأمن علـى نفسـه بـين أرجائهـا فيحـاب مـن نازعـه ، ويسـالم مـن وادعـه ، ويسـتطرد بحيـاة متناسـقة لا مرسـله بـددا ومتناظمـة لا طرائق قددا ، فتستقيم فلسفته عن الحياة ويقى نفسه شرور هذا العالم .

وأية ذلك كلـه أن الحياة نفسها تنحو بالمراهق نحو العالم الذى يهدف إلـى المعرفـة والمثـل العليـا علـى إقامـة صرح المجتمـع وعلاقاتـه الفردية والجماعية .

أ) معنى الخلق وطبيعته النفسية :

يكـاد علمـا الـنفس يجمعـون علـى أن الخلـق مركـب اجتمـاعى مكتسب يقوم فـى جوهره علـى فضائل وسجايا تقرها الجماعـة وترضـاها لنفسها فهو بذلك إحدى الدعائم الرئيسية الإنسانية .

ويعرف الخلق بأنـه تكامل للعادات والاتجاهات والعواطف والمثل العليا بصورة تميل إلى الاستقرار والثبات وتصلح للتنبؤ بالسلوك المقبل ، ولقد نشطت الأبحاث العلميـة التجريبيـة الإحصائية منذ عهد قريب فـى دراسـة الخلـق ، فـأعلن مكلـوى *C. H. Mccoly* فـى سنة ١٩٣٦ نتـائج دراسـته للسـجايا الخلقيـة ، مؤكـداً بـذلك تقسـيمها إلـى أنـواع متمـايزة الأصول والحدود والسجية الخلقية فى جوهرها النفسى مظهر من مظاهر الخلق تبدو عند طائفة من الناس فى طائفة من السلوك ، وهكذا يقترب هذا التقسيم فى تنظيمه العلمى من التنظيم العقلى المعرفى الذى لخصناه فى القدرات ويقترب أيضاً من التنظيم المزاجى الذى لخصناه فى السمات .

هذا وتتلخص أهم نتائج هذا البحث فى تأكيد السجايا الخلقية التالية :

١- سجايا اجتماعية :

وتبدو فى احترام الفرد لحقوق الفرد ولحقوق الآخرين ، وفى مدى ثقة الناس به ، وفى عدالته الاجتماعية .

٢- سجايا المرونة :

تبدو فى مقدرة الفرد على الاندمج فى الجماعة أو تجنبها.

٣- سجايا السيادة :

وتبدو فى مدى ثقة الفرد بنفسه ، ورغبته فى اكتساب حب الآخرين ، وقدرته على تهذيبهم وإصلاحهم ورعايتهم وحبهم .

٤- سجايا الطموح :

وتبدو فى مدى طموح الفرد للتفوق بمثله العليا وصفاته الطيبة على أقرانه وفى قدرته على الابتكار وعلى اختيار نواحى الإصلاح الجديد والسير بها قدماً نحو غاياتها ومثلها العليا .

ومهما يكن من أمر هذا البحث فإنه قد بين بوضوح الطرق العلمية لدراسة الخلق ، وبين أيضاً أهمية هذه الدراسة فى رعاية النشء وبناء المجتمع وتكوين الخلق .

وتدل نتائج الدراسات التى قام بها هافيجهرسيت *R. T. Havighurst* وتابا *H. Htaba* ١٩٥٠ على أن الخلق يقوم فى جوهره على السجايا التالية :

١- الولاء : للجماعة والفرد والنواحى المعنوية التى يدين بها المراهق .

٢- الشجاعة الأدبية : وتبدو فى دفاع المراهق عن الفكرة التى يدين بها .

٣- الأمانة : وتبدو فى النواحى العلمية والاجتماعية والمالية ، وغير ذلك من المظاهر المختلفة .

٤- تحمل المسئولية : وتبدو فى ثقة الفرد بنفسه وفى قيامه بواجباته الخلقية الاجتماعية .

٥- المودة : وتبدو فى الصداقة والمؤاخاة ، ولقد ألمح الكندى إلى أهمية هذه الناحية بقوله " الصديق إنسان هو أنت إلا أنه غيرك " وفطن ابن المعتز إلى أهمية المودة فى التقارب النفسى فذهب إلى أن " القريب بعداوته بعيد ، والبعيد بمودته قريب " .

هذا وترتبط هذه السجايا مع بعضها ارتباطاً عالياً موجباً فترتبط الأمانة بالولاء بدرجة ٠.٨٦ وترتبط الأمانة بتحمل المسئولية ارتباطاً يبلغ ٠.٨٢ .

ب) مستويات النمو الخلقى :

يتصل الفرد فى طفولته اتصالاً قوياً بالسلطة القائمة فى أسرته ويكتسب بذلك ضميره ثم يتطور به النمو فيستجيب لنداء هذا الضمير ويدين بالولاء لمعايير الأسرة وقيمتها الخلقية ، فيحاول أن يرضى الأهل والأصدقاء ، ثم يتطور فى مراهقته فيسمو بمستوياته حتى يتصل من قريب بالمثل العليا الإنسانية وبالعدالة الاجتماعية ، وهكذا يتخفف المراهق من ولائه الشديد لبيئته الأولى ليسيطر من ذلك إلى الولاء للمجتمع الكبير الذى يحيا فى إطاره ، وقد يتخفف من هذا أيضاً ليدين بالولاء للنوع الإنسانى كله وتلك أعلى مدارك السمو الخلقى .

ج) مستويات النمو الدينى :

سنتناول فى دراستنا لتطور مستويات النمو الدينى فى مرحلة المراهقة ثم نحلل نشأة الشك الدينى ووظيفته فى تعميق المفاهيم الدينية التى كان الفرد يتقبلها بقبول شكلى فى مرحلة الطفولة ، وأثر هذا التطور الجديد من أطوار النمو على النضج الدينى للفرد .

فى هذه المرحلة تقل نسبة ممارسة الفرد للعبادات المختلفة ، لكنه ما يلبث أن يعود إلى عبادته عندما تمر به أزمة حادة قاسية ، وعندما تنتهى الأزمة تفتر صلاته وتبدأ رغبته الشديدة فى الصلاة والعبادات الأخرى .

يتقبل الطفل الاتجاهات الدينية فى أسرته ومجتمع لكنه يشك فيها فى أوائل مراهقته ، وخاصة فيما بين الثالثة عشرة والرابعة عشرة من عمره ، وذلك عندما يعجز عن إدراك الفلسفة الدينية العميقة فيقف بقلبه وعقله فى تيه اللانهاية الدينية ويقعد به عجزه عن فهم الأبدية ، ويحاول أن يخضع هذا الملكوت لفكرته عن الزمن الموضوعى والذاتى ، ثم يتخفف بعد ذلك من هذا الشك فى أواخر مراهقته .

وتدل أبحاث ل. كول *L. Cole* على أن السنة السادسة عشرة من حياة المراهق تعتبر مرحلة تحول فى سلوكه وإيمانه الدينى ، ذلك لأن الثقة الدينية بين المراهقين ترتفع عندئذ إلى ما يقرب من ٦٠٪ وإلى ما يقرب من ٦٥٪ عند المراهقات ولذا تسمى مرحلة المراهقة أحياناً بمرحلة اليقظة الدينية ، لأن الفرد يبدأ فيها جداله الدينى الحاد العنيف فيناقش فكرته عن الجنة والنار والذنب والتوبة والبعث والخلود والقضاء والقدر والحرية الفردية والجبرية اللا اختيارية ، هذا وتزداد ضراوة هذه اليقظة الدينية وما يتبعها من إثارة المشكلات والشكوك المختلفة عندما يواجه المراهق أحداث الموت وهى تصيب أصدقاءه وأقرباءه وعندما يفطن لقسوة الحياة ومرارة الأحداث المحيطة به ، ويتطور الشك الدينى عند المراهق من العبادات إلى العقيدة ذاتها وهو فى شكه هذا يراجع نفسه ، ويراجع علاقته بالقيم السائدة والمعايير القائمة وعلاقته بالكون كله .

ثم تبدأ حدة هذا الشك ، وذلك عندما يقترب الفرد من الرشد فيتحول الشك إلى شعور بالذنب ويتطور به النمو إلى معالجة مشكلاته الدينية بروح موضوعية صحيحة .

وهكذا يقترب الفرد اقتراباً واضحاً من شعائره الدينية حتى يصبح قادراً على أن يميز الخبيث من الطيب ، ولا يتعدى حدوده ويتحول الشعور بالخوف من العقاب إلى الشعور بالمتعة الروحية الخالصة العميقة ، ويصبح أكثر تسامحاً فى علاقته بالأديان الأخرى وينتهى به المطاف حتى يدرك أن الطريق واحد وغايته واحدة مهما اختلفت مسالكه ودروبه .

د) العوامل المؤثرة على تكوين الخلق :

تدل أبحاث هافيجرست *H. Tabe & R. J. Havighurst* وهيرلوك *E. B. Hurlock* على أن أهم العوامل المؤثرة فى تطوير وتكوين الخلق هى : الثواب العقاب ، والتقليد والتفكير التأملى .

١ – الثواب والعقاب :

يتأثر الفرد بالبيت وبالمدرسة وبجماعة النظائر وبالمجتمع الكبير فى تقويم مستويات خلقه ، وفى تعديل سجاياه ، وذلك عندما يثاب على ما يعمل أو يعاقب على أخطائه ، ولا يعنى العقاب الضرب والقسوة وإنما يعنى هنا إعاقة السلوك الشاذ وذلك بتحويل طاقته إلى سلوك مرضى ، هذا وللتشجيع أثره القوى فى تكوين المستويات الخلقية ، وقد يعوق الفشل نموها ولهذا ينتشر الغش بكثرة بين المتخلفين فى دراساتهم وقد ترجع أسباب الغش إلى رغبة المراهق فى الاحتفاظ بمكانته الاجتماعية بين زملائه وأصدقائه .

٢ – التقليد :

يقلد الفرد والديه فى طفولته ويتطور به النمو فيقلد مدرسيه ورؤساء الأندية التى ينتمى إليها فى بدء مراهقته ثم ينحو بعد ذلك نحو تقليد نظائره فى تفوقهم عليه وتميزهم عنه ، ويشرئب بمستوياته نحو أبطال آماله وأحلامه ونحو من يعجب بهم ويقرأ عنهم وهكذا يتأثر فى نموه الخلقى بمن يقلد وبما يفعل .

وقديماً ذهب بعض علماء النفس وخاصة تارد *Tarde* إلى أن السلوك الاجتماعى الخلقى يرجع فى جوهره إلى التقليد ، وانتهى بتحليله العلمى للسلوك الاجتماعى إلى أنه عدوى تنتقل من فرد لآخر ، ودلل على ذلك بحالات الفزع التى تنتاب الجماعات نتيجة فزع أحد أفرادها ثم استطرد فى تحليله حتى وصل إلى إرجاع السلوك الاجتماعى عامة إلى التقليد .

ومهما يكن من أهمية التقليد فى تعديل سلوك الفرد فإنه ليس وحده العامل الأساسى فى تكوين المظاهر الخلقية والسلوك .

٣- التفكير التأملى :

يتأثر النمو الخلقى بتفكير الفرد وتأملاته وبصيرته القوية التى تهدف إلى تحليل المواقف المختلفة ، ورسم خطوطها الأساسية للوصول بها إلى المثل العليا الصحيحة التى تساير أهداف الفرد والجماعة والنوع الإنسانى ومعارج الفضيلة السامية ومدارج العدالة العليا .

رعاية النمو الاجتماعى :

يحدد مستوى التكيف الاجتماعى للمراهق أنماط سلوكه فى رشده وحياته المقبلة ويرتبط ارتباطاً وثيقاً بمدى ميل الفرد للتفاعل والنشاط الاجتماعى بصوره السوية المختلفة وبمدى استمتاعه بهذا النشاط .

وتهدف الرعاية الصحيحة للنمو إلى السير به قدماً نحو النضج المتكامل القوى فيتدرب الفرد على حبه وعطفه وتآلفه مع الآخرين وتقديره لهم

والناضج يطمئن لسلوكه فى إطار جماعته ويثق بنفسه ويشعر بمسئوليته ويقوم الفرد بواجباته ويحترم حقوقه ويندمج فى روح الفريق فيعمل وينتج متفاعلاً مع غيره وينتقد زملائه نقداً إنشائياً بنائياً صحيحاً ويتقبل نقدهم بروح عالية ، ويدرك نواحى قدرته وعجزه ، فيثق بنفسه ولا يغتر بها ، ويعتدل فى نشاطه فلا يبذر فى إنفاق طاقته ولا يبخل بها وإنما ينحو بها منحنى صحيحاً يتناسب إيجابياً ومقومات الموقف المحيط به فهو بهذا المعنى متزن فى عمله ولهوه ، يعرف متى يتخذ قراراته الحازمة وكيف ينظم خططه الجوهرية ، ويعرف متى يعتمد على نفسه وكيف يستعين بغيره ، وهو بهذا كله يلائم بين نفسه ومجتمعه وبين سلوكه وأهدافه وبين دوافعه ومثله العليا .

والدعامة الصحيحة لهذا النمو تنحو به نحو مستويات الشخصية المتزنة المتكاملة السوية .

حاجات المراهقين

يصاحب التغيرات التى تحدث مع البلوغ تغيرات فى حاجات المراهقين ، ولأول وهلة تبدو حاجات المراهقين قريبة من حاجات الراشدين ، إلا أن المدقق يجد فروقاً واضحة بمرحلة المراهقة ، ولعلنا لا نبالغ إذا قلنا إن الحاجة والميول والرغبات تصل فى مرحلة المراهقة إلى أقصى درجة من التعقيد .

ويلاحظ أن المراهق المعوق قد يجد من الصعب أو المستحيل فى بعض الأحيان رغم جهوده ومحاولاته إشباع بعض حاجاته .

ويمكن تلخيص حاجات المراهقين الأساسية فيما يلى :

- الحاجة إلى الأمن : وتتضمن الحاجة إلى الأمن الجسمى والصحة الجسمية ، الحاجة إلى الشعور بالأمن الداخلى ، الحاجة إلى البقاء حياً ، الحاجة إلى تجنب الخطر والألم ، الحاجة إلى الاسترخاء والراحة ، الحاجة إلى الشفاء عند المرض أو الجرح ، الحاجة إلى الحياة الأسرية الآمنة المستقرة السعيدة ، الحاجة إلى الحماية ضد الحرمان من إشباع الدوافع ، والحاجة إلى المساعدة فى حل المشكلات الشخصية .
- الحاجة إلى الحب والقبول : وتتضمن الحاجة إلى الحب والمحبة ، الحاجة إلى القبول والتقبل الاجتماعى ، الحاجة إلى الأصدقاء ، الحاجة إلى الانتماء إلى الجماعات ، الحاجة إلى الشعبية ، والحاجة إلى إسعاد الآخرين .
- الحاجة إلى مكانة الذات : وتتضمن الحاجة إلى الانتماء إلى جماعة الرفاق " الشلة " ، الحاجة إلى المركز والقيمة الاجتماعية ، الحاجة إلى الشعور بالعدالة فى المعاملة ، الحاجة إلى الاعتراف من الآخرين ، الحاجة إلى التقبل من الآخرين ، الحاجة إلى النجاح الاجتماعى ، الحاجة إلى الاقتناء والامتلاك ، الحاجة إلى أن يكون قائداً ، الحاجة إلى اتباع قائد ، الحاجة إلى أن يحمى الآخرين ، الحاجة إلى تقليد الآخرين ، الحاجة إلى المساواة مع رفاق السن والزملاء فى المظهر والملابس والمصروف والمكانة الاجتماعية ، الحاجة إلى تجنب اللوم ، والحاجة إلى المعاملة العادلة .

- **الحاجة إلى الإشباع الجنسى : وتتضمن الحاجة إلى التربية الجنسية ، الحاجة إلى اهتمام الجنس الآخر وحبه ، الحاجة إلى التخلص من التوتر ، الحاجة إلى التوافق الجنسى الغيرى .**
- **الحاجة إلى النمو العقلى والابتكار : وتتضمن الحاجة إلى التفكير وتوسيع قاعدة الفكر والسلوك ، الحاجة إلى تحصيل الحقائق ، الحاجة إلى تفسير الحقائق ، الحاجة إلى التنظيم ، الحاجة إلى الخبرات الجديدة والتنوع ، الحاجة إلى إشباع الذات عن طريق العمل ، الحاجة إلى النجاح والتقدم الدراسى ، الحاجة إلى التعبير عن النفس ، الحاجة إلى المطابقة ، الحاجة إلى السعى وراء الإثارة ، الحاجة إلى المعلومات ونمو القدرات ، والحاجة إلى التوجيه والإرشاد العلاجى والتربوى والمهنى والأسرى والزواجى .**
- **الحاجة إلى تحقيق وتأكيد وتحسين الذات : وتتضمن الحاجة إلى النمو ، الحاجة إلى أن يصبح سوياً وعادياً ، الحاجة إلى التغلب على العوائق والمعوقات ، الحاجة إلى العمل نحو هدف الحاجة إلى معارضته للآخرين ، الحاجة إلى معرفة الذات ، والحاجة إلى توجيه الذات .**
- **حاجات ، مثل :**

– الحاجة على الترفيه والتسلية . – الحاجة إلى المال ... الخ .

ملاحظات :

يؤدى إشباع حاجات المراهق إلى تحقيق الأمن النفسى *Psychological Security* له ، وبهذا المفهوم يمكن أن ننظر إلى الأخصائى النفسى فى المدرسة على أنه " ضابط الأمن النفسى " ، والأمن النفسى هو الطمأنينة النفسية أو الانفعالية ، وهو الأمن الشخصى ، حيث يكون إشباع الحاجات مضموناً وغير معرض للخطر ، والأمن النفسى مركب من اطمئنان الذات ، والثقة فى الذات ، والتأكيد

من الانتماء إلى جماعة آمنة ، والشخص الآمن نفسياً يكون فى حالة توازن أو توافق أمنى (حامد زهران ، ١٩٨٩) .

تطبيقات تربوية :

يجب مراعاة ما يلى :

- إشباع الحاجات الأساسية لدى المراهقين .
- إدخال الدراسات النفسية فى المرحلة الثانوية والتعليم العالى لمساعدة المراهق على فهم نفسه وحاجاته ووسائل إشباعها .

أشكال من المراهقة

قام صموئيل مغاريوس (١٩٥٧) بدراسة أشكال المرهقة فى مصر وعنى باستطلاع أحوال المراهقين المصريين وصور مراهقتهم وما يحيط بها من ظروف ، وقام ببحث هدفه معرفة الأسباب والوسائل فى حدود ظروف البيئة المصرية التى تهيئ لمراهقينا وشبابنا توافقاً سليماً وصحة نفسية سوية .

وحاول البحث الإجابة عن عهدة أسئلة تدول حول :

- الاختلافات فى الصورة العامة للمراهقين بين المدن والقرى المصرية .
- أنماط وأشكال المراهقة فى مصر .
- العوامل التى تتحكم فى تحديد أشكال المراهقة فى مصر .
- مدى اتفاق نتائج الدراسة مع النظريات الحديثة فى المراهقة .
- التطبيقات التربوية لنتائج البحث .

واقتصر البحث على الذكور مع المراهقين المصريين ، وأجرى على ٩٠ طالباً من طلاب الدبلوم العامة فى كلية التربية جامعة عين شمس ، حيث طلب الباحث منهم كتابة موضوع عنوانه " دراسة المراهق

(س) والظروف التى لابست مراهقته " وعبر عن أمله فى أن يكتب كل منهم عن نفسه ، واتبع طريقة تشبه ما يحدث فى المقابل الحرة فى العيادات النفسية ومواقف التحليل النفسى حيث ترك الطالب طليقاً يكتب فيها يعن له من موضوعان .

وقد أمكن من تحليل الكتابات التى حصل عليها الباحث استخلاص أربعة أشكال عامة للمراهقة فى مصر هى :

- المراهقة المتوافقة .
- المراهقة الانسحابية المنطوية .
- المراهقة العدوانية المتمردة .
- المراهقة المنحرفة .

المراهقة المتوافقة :

- سماتها العامة : الاعتدال والهدوء النسبى والميل على الاستقرار والإشباع المتزن وتكامل الاتجاهات والاتزان العاطفى ، والخلو من العنف والتوترات الانفعالية الحادة ، والتوافق مع الوالدين والأسرة ، والتوافق الاجتماعى والرضا عن النفس ، وتوافر الخبرات فى حياة المراهق ، والاعتدال فى الخيالات وأحلام اليقظة وعدم المعاناة من الشكوك الدينية .
- العوامل المؤثرة فيها : المعاملة الأسرية السمحة التى تتسم بالحرية والفهم واحترام رغبات المراهق وتوفير جو الاختلاط بالجنس الآخر فى حدود الأخلاق والدين وحرية التصرف فى الأمور الخاصة والاستقلال النسبى وعدم الأسرة فى شئونه الخاصة ، وإشباع الهوايات ، وتوفير جو من الثقة والصراحة بين الوالدين والمراهق فى مناقشة مشكلاته ، وشعور المراهق بتقدير والديه واعتزازهما به ، وشعوره بتقدير أقرانه وأصدقائه ومدرسيه وأهله ويسر الحال وارتفاع

المستوى الاقتصادى – الاجتماعى للأسرة ، وشغل وقت الفراغ بالنشاط الاجتماعى والرياضى ، وسلامة التكوين الجسمى والصحة العامة ، التفوق الأكاديمى والنجاح الدراسى ، والتدين والشعور بالأمن والاستقرار والاستقامة والرضا عن النفس والراحة النفسية ، والشعور بالمسئولية الاجتماعية وممارستها ، وإتاحة فرصة الحياة الاستقلالية وحرية التصرف والاعتماد على النفس ، والتأثر بشخصيات رياضية ، وإعلاء النواحى الجنسية والانصراف بالطاقة إلى الرياضية والثقافة الأدبية والدينية .

المراهقة الانسحابية المنطوية :

- سماتها العامة : الانطواء والاكتئاب والعزلة والسلبية والتردد والخجل والشعور بالنقص ، ونقص المجالات الخارجية والاقتصار على أنواع النشاط الانطوائى وكتابة المذكرات التى يدور معظمها حول الاتصالات والنقد ، والتفكير المتمركز حول الذات ومشكلات الحياة ونقد النظم الاجتماعية والثورة على تربية الوالدين ، ومحاولة النجاح الدراسى ، والاستغراق فى أحلام اليقظة التى تدور حول موضوعات الحرمان والحاجات غير المشبعة ، والإشراف فى الجنسية الذاتية ، والاتجاه إلى النزعة الدينية المتطرفة بحثاً عن الراحة النفسية والخلاص من مشاعر الذنب .
- العوامل المؤثرة فيها : اضطراب الجو النفسى فى الأسرة ، والأخطاء الأسرية التى منها التسلط وسيطرة الوالدين والحماية الزائدة وما يصاحب ذلك من إنكار لشخصية المراهق ، وتركز قيم الأسرة حول النجاح الدراسى مما يثير قلق الأسرة وقلق المراهق ، وجهل الوالدين وتوجيههما السيئ فيما يتعلق بوضع المراهق الخاص فى الأسرة وتربيته بين أخوته كأن يكون الولد الأكبر أو الأصغر أو الوحيد وما لكل من أوضاع خاصة ،

وضعف المستوى الاقتصادى – الاجتماعى ، ونقص ممارسة النشاط الرياضى ، والتزمتن والرجعية والمغالاة فى اتجاهات الأسرة ، والفشل الدراسى ، والتخلف فى التكوين الجسمى وسوء الحالة الصحية ، ونقص إشباع الحاجات إلى التقدير وتحمل المسئولية ، والجدب العاطفى ، وقصور التوجيه المناسب .

المراهقة العدوانية المتمردة :

- سماتها العامة : التمرد والثورة ضد الأسرة والمدرسة والسلطة عموماً ، والانحرافات الجنسية ، والعدوان على الأخوة والزملاء ، والعناد بقصد الانتقام خاصة من الوالدين ، وتحطيم أدوات المنزل ، والإسراف الشديد فى الإنفاق ، والتعلق الزائد بروايات المغامرات ، والحملات ضد رجال الدين وإعلان الإلحاد والشكوك الدينية ، والشعور بالظلم ونقص التقدير ، والاستغراق فى أحلام اليقظة ، والتأخر الدراسى .
- العوامل المؤثرة فيه : التربية الضاغطة المتزمتة وتسلط وقسوة وصرامة القائمين على تربية المراهق ، والصحبة السيئة ، وتركيز الأسرة على النواحى الدراسية فحسب ، ونبذ الرياضية والنشاط الترفيهى ، وقلة الأصدقاء وضعف المستوى الاقتصادى والاجتماعية ، والعاهات الجسمية وضآلة وتأخر النمو الجسمى ، والتأخر الدراسى ، والوضع الخاص لبعض المراهقين وخطأ الوالدين فى توجيههم ، ونقص إشباع الحاجات والميول .

المراهقة المنحرفة :

- سماتها العامة : الانحلال الخلقة التام ، والانهيار النفسى الشامل ، والجناح والسلوك المضاد للمجتمع ، والانحرافات الجنسية ، وسوء الأخلاق والفوضى والاستهتار ، وبلوغ الذروة فى سوء التوافق ، والبعد غن لمعايير الاجتماعية فى السلوك .

- **العوامل المؤثرة فيها : المرور بخبرات شاذة مريرة والصدمات العاطفية العنيفة وقصور الرقابة الأسرية أو تخاذلها وضعفها ، والقسوة الشديدة فى معاملة المراهق فى الأسرة وتجاهل رغباته وحاجات نموه أو التدليل الزائد من ناحية أخرى ، والصحبة المنحرفة ، والنقص الجسمى أو الضعف البدنى والشعور بالنقص والفشل الدراسى ، وسوء الحالة الاقتصادية للأسرة ، والعوامل العصبية الاستعدادية أو الاختلال فى التكوين الغدى .**

وقد وجد الباحث أيضاً ما يدل على اختلاط شكل المراهقة ، بمعنى تطور المراهقة من أحد أشكالها إلى شكل آخر وجميع بعض الحالات بين ملامح شكلين أو أكثر من الأشكال السابق تحديده .

هذا ويضيف الباحث أن شكل المراهقة يتغير بتغير ظروفها والعوامل المؤثرة فيها وأن هذه تكاد تكون هى القاعدة ، كذلك تؤكد هذه الدراسة أن السلوك الإنسانى مرن مرونة تسمح بتعديله ، وأخيراً فإنه تؤكد قيمة التوجيه والإرشاد والعلاج النفسى فى تعديل شكل المراهقة المنحرفة نحو التوافق والسواء .

المراجـــع

١- فؤاد البهى السيد (د. ت) : الأسس النفسية للنمو من الطفولة للشيخوخة ، القاهرة ، دار الفكر العربى .

٢- هدى عبد الحميد برادة ، فاروق محمد صادق (٢٠٠٠) : علم نفس النمو ، القاهرة ، دار الشر ق الأوسط للطباعة والنشر .

٣- آمال صادق ، فؤاد أبو حطب (١٩٩٠) : نمو الإنسان من مرحلة الجنين إلى الشيخوخة ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية .

٤- حامد عبد السلام زهران (١٩٨٠) : علم نفس النمو ، القاهرة ، عالم الكتاب .

٥- حامد عبد العزيز الفقى (١٩٨٣) : دراسات فى سيكولوجية النمو، الطبعة الرابعة الكويت ، دار القلم .
٦- محمود عبد القادر محمد (١٩٨٦) : علم نفس النمو ، الجزء الأول القاهرة ، مطبعة روزليوسف .
٧- محمود عبد القادر محمد (١٩٨٧) : علم نفس النمو ، الجزء الثانى القاهرة ، مطبعة المصحف الشريف .
٨- إبراهيم قشوش (١٩٨٠) : سيكولوجية المراهقة ، القاهرة ، الأنجلو المصرية .
٩- كريمان بدير (٢٠٠٧) : الأسس النفسية لنمو الطفل ، الأردن ، دار المسيرة للنشر والتوزيع .
١٠- عادل عز الدين الأشول (١٩٨٢) : علم نفس النمو ، القاهرة ، الأنجلو المصرية .
١١- عبد العزيز القوصى(١٩٨٠) : أسس الصحة النفسية ، القاهرة ، النهضة المصرية .
١٢- مصطفى فهمى (١٩٧٩) : سيكولوجية الطفولة والمراهقة ، القاهرة ، مكتبة مصر .
١٣- محمد عماد الدين إسماعيل وآخرون (١٩٦٧) : كيف نربى أطفالنا : التنشئة الاجتماعية للطفل فى الأسرة العربية ، القاهرة ، القاهرة ، دار النهضة العربية .
١٤- محمد عماد الدين إسماعيل (١٩٩٥) : الطفل من الحمل إلى الرشد ، الجزء الأول ، الكويت ، دار القلم .
١٥- محمد عماد الدين إسماعيل (١٩٩٦) : الطفل من الحمل إلى الرشد ، الجزء الثانى ، الكويت ، دار القلم .

١٦- روث. م . بيرد (١٩٩٥) : جان بياجيه وسيكولوجية نمو الأطفال ، ترجمة فيولا الببلاوى ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية .
١٧- عبد المنعم المليجى (١٩٥٧) : النمو النفسى ، الطبعة الثالثة القاهرة ، مكتبة مصر .